# سـوكـر

اسم الكتاب: سوكر

المؤلف: محمد حلاوة

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد

مراجعة لغوية وتنسيق: سارة صلاح

رقم الإيداع: ٢٠١٤/١٥٩٧١

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٥١٠١-٩-٧

يصدر عن: الرسم بالكلمات للنشر والتوزيع

رقم الطبعة: الطبعة الأولى/ ٢٠١٤

إشراف عام: محمد المصري

| مدير النشر | مدير التوزيع |
| --- | --- |
| عمر عودة | عمر عباس |
| ٠١١١١٥٢٩٠٢٩ | ٠١١٥٩٤٧٠٧٧٧ |


جميع الحقوق محفوظة

لدار الرسم بالكلمات وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر بشكل إلكتروني أو فوتوغرافي أو غيره دون موافقة كتابية، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

العنوان: ٥٠ شارع عثمان محرم، الطالبية، هرم.

ت: ٠١١١١٥٢٩٠٢٩/ ٠١٢٢١٠٦٤٦٦٣/ ٠٢٢٥٦٢٢٧٤٣

https//www.facebook.com/dar.elrsm.blklemat

# سـوكـر

## روايـة

محمد حلاوة

دار الرسـم بالـكـلمات

# إهداء

إلى أمي وأبي وأخواتي..

إلى كل من يسكن هذا الكوكب ولا يزال عاكفًا على سبر أغواره.. والذي مازال مُصرًّا على أن يركض نحو الحافة ليعرف ما وراءها..

إلى كل قصصي التي لم تُكتَب بَعد ولا أعلم أين سنلتقي.. في مكان العمل.. مترو الأنفاق.. على شاطئ البحر.. أم في حجرتي هنا.. حيث أكتب تلك الكلمات!!

"عندما تسكنُ قصرًا قديمًا . . قبل كل شيء فتِّش عن القبو"

دعونا نقتلُ هنا الفراغ . . فأنا لديَّ قصة لم يسمعها أحدٌ من قبل . .

لو شئتم أن تنصتوا إليها . . أو كانت لكم القدرة على فعل ذلك !

# (١)

*شتاء ١٩٦١..*

**إحدى قرى إيتاى البارود -محافظة البحيرة**

**-هل أحضرت الرجل يا «عزت أفندي» ؟**

**-نعم يا «سليم باشا».. الشيخ عبد اللطيف بالخارج.**

**-يا لطيف يارب.. أدخله في الحال.**

**يدخل الشيخ عبد اللطيف من باب القصر وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة ثم يتجول بعينيه في أنحاء القصر قبل أن يسلِّم على سليم باشا..**

**-أخبرني عزت أفندي أنك...**

**قاطعه سليم: تفضَّل يا شيخ عبد اللطيف، اجلس وستفهم كل شيء.**

**ثم أشار لعزت أفندي أن يحضر طعام العشاء.**

**على ضوء المصباح، أخذ الثلاثة يتناولون عشاءهم ويتناقشون في بعض الأمور الخاصة بمغامرات الشيخ عبد اللطيف ورواياته التي لا تنتهي عن عمله وسعيه وراء الجان والعفاريت.**

**بعد أن انتهى الجميع من طعامهم، توجه عزت أفندي مع الشيخ عبد اللطيف إلى الصالون..**

**تغيَّب سليم بضع دقائق ثم عاد إليهما وهو يحمل صينية الشاي.. هنا قام إليه عزت أفندي يهرول حتى يحمل عنه.**

**اعتذر سليم لأنه أمر الخادمة أن تنصرف مبكرًا فهو لا يريد أحدًا في القصر الليلة.. أما زوجته وأولاده فيقيمون في القاهرة. بينما أخذ الثلاثة يرتشفون الشاي، أبدى الشيخ عبد اللطيف استهجانه لتلك الصورة المنسوجة على الأريكة التي يجلس عليها؛ فقد كانت عبارة عن**

فتى وفتاة عرايا يطيران سويًّا في الهواء، ثم نظر إلى عزت أفندي مستفهمًا عن سبب مجيئه إلى هنا.

لاحظ سليم باشا الصاوي ما يجول في نَفْس الشيخ..

-طبعًا أنت تريد أن تعرف لماذا أنت هنا يا شيخ عبد اللطيف.. سأقول لك.. أنت تعلم أنني سليم بن شريف باشا الصاوي، ورثت هذا القصر عن أبي مع تلك الأطيان الممتدة حول القصر وقد توفت أختي وهي صغيرة بسبب ارتفاع درجة حرارتها المفاجىء فقرر والدي أن يدفنها بجوار القصر لأنه كان يحبها حبًا شديدًا.. أما أنا فأقيم في هذا القصر أنا وزوجتي وأولادي ثلاثة أيام في الأسبوع هم الأربعاء والخميس والجمعة وأحيانًا أقيم فيه وحيدًا.

تأتي الخادمة لتقوم بأعمال الطبخ والتنظيف وتعتني بالقصر في الأيام التي أكون فيها في القاهرة حيث عملي كمستشار في وزارة العدل.

نظر إليه الشيخ عبد اللطيف مستغربًا من تلك التفاصيل التي لا تهمه من قريب أو من بعيد، وكأن سليم عرف ما يدور بخلده..

**-لا تتعجل الأمور سأوضح لك كل شيء، في أحد الأيام التي كنت فيها وحيدًا في القصر، دخلت إلى مكتبة والدي -رحمه الله-كعادتي، فقد ورثت حب القراءة عنه وكنت أعتكف دائمًا على تلك الكتب القيِّمة وأغوص في علومها وطرائفها التي لا تنتهي.. وكان هناك ركن من الكتب لا أحب أن أقف فيه لأن به كتبًا قديمة جدًّا وبالية لا تستحق القراءة فيما كنت أظن.. فلم أقترب منه أبدًا.. إلا في تلك الليلة حيث كنت ساهرًا في القصر بعد أن رحلت الخادمة فأخذني الفضول أن أتصفح واحدًا من تلك الكتب.. كان بلا عنوان فانتزعته من المكتبة وجلست على المكتب بجوار المصباح وأخذت أتصفح فيه وأقلب أوراقه الصفراء المتهالكة فإذا هو خرافات وأساطير عن عوالم قديمة وأخبار عن عاد وثمود والفراعنة وكنوزهم المدفونة وأيضًا تحضير الأرواح إلى غير ذلك من تلك الأفكار التي لم أصدقها في حياتي!**

**ضاقت عينا الشيخ عبد اللطيف وكأن رأي سليم باشا الصاوي لم يعجبه وأدرك سليم معنى تلك النظرة، فابتسم ثم أكمل:**

**-أخذت أتصفح الكتاب على مضض وهممت أن أغلقه وأعيده إلى مكانه إلا أنني عندما أردت أن أضعه في مكانه سقطت ورقة من الكتاب على الأرض فالتقطتها وحاولت أن أقرأ المكتوب فلم أستطع**

فقد كان الخط مهتزًا فعدت إلى المكتب بجوار الضوء وبدأت أقرأ المكتوب فإذا هو:

( أكد لي اللورد هانز أن الكنز مدفون تحت القصر وعلينا الإسراع في التنقيب عنه، أما الخريطة فهي موجودة في نفس الكتاب الذي وضعت فيه رسالتي تلك.. أنتظر ردك ).

قمت وأحضرت الكتاب مرة أخرى وبدأت أتصفحه بجوار المصباح الذي يتراقص ضوؤه بجواري بسبب الهواء المندفع من النافذة الغير محكمة الإغلاق.. بدأت أفتش عن الخريطة فإذا هي في وسط الكتاب لم ألمحها أثناء تصفحي له.. أحضرت الخريطة والرسالة وجلست عاكفًا عليهما يوم الخميس والجمعة وأنا لا أتذوق الطعام ولا النوم.. من المؤكد أن والدي لم يرَ الرسالة والخريطة ولم يفتح الكتاب أصلاً وإلا كان أخبرنا أو خبأهما.. ومنذ ذلك اليوم وفكرة الكنز تتملكني وأريد التحقق من ذلك الأمر.. بدأت أقرأ في هذا الكتاب عن الكنوز المدفونة والوصول إليها وعلمت بعض الأمور ثم أردت أن أخبر أحدًا، فأنا لم أطق أن أحمل هذه الأشياء في صدري وحيدًا، فأخبرت عزت أفندي الذي نصحني باستشارتك!

**-"ممم فهمت".. نطقها الشيخ عبد اللطيف بعد أن ضاقت حدقتاه وارتفع حاجبه الأيسر وبدأ يهذّب لحيته الخفيفة ثم قال:**

**-وماذا تريد منّي على وجه التحديد؟؟**

**-أريد منك أن تساعدنا في الوصول إلى الكنز.**

**-ولكنني مجرد طارد للجن.**

**قال عزت أفندي:**

**-ونحن نعلم ذلك يا شيخ عبد اللطيف، ولذلك اقترحت على سليم باشا أن تساعده.**

**و قبل أن ينطق الشيخ عبد اللطيف قال له سليم:**

**-يا شيخ عبد اللطيف.. الكنز المدفون تحت القصر يعود لأحد الفراعنة!**

**اندهش الشيخ عبد اللطيف وقطب جبينه:**

**-وكيف عرفت هذا؟**

**-سألت بعض أصدقاء والدى إن كانوا يعرفون أحدًا اسمه اللورد هانز فأخبرني غير واحد أنه كان أستاذًا في التاريخ المصري القديم كما كان وهذا هو الأهم باحثًا عن الكنوز الفرعونية!**

**-ولكن أنا أطرد الجن من المنازل وأشفي الناس بإذن الله من المسِّ واللبسِ وليس لي علاقة من قريب ولا من بعيد بسحرة فرعون.. أعوذ بالله منهم ومن شرهم.**

**-يا شيخ عبد اللطيف أنت رجل مؤمن وشيخ كبير وتعلم أنهم ليسوا بضارين أحدًا إلا بإذن الله.. أليس كذلك يا عزت أفندي؟؟**
**-نعم يا سليم باشا.. ثم التفت عزت إلى الشيخ عبد اللطيف وقال له:**
**-يا شيخ عبد اللطيف أنت ستنظف المكان وتطرد الجان ليس أكثر ولا أقل وستكون مكافأتك كبيرة.**

**-ولكن أنتم لا تعلمون خطورة هذا الأمر، هؤلاء الفراعنة كانوا يحرسون كنوزهم بحرَّاسٍ من الجان القوي ولم يسلم أحد من لعنتهم.**
**نظر سليم في غضب إلى عزت أفندي الذي شعر بالخجل ثم أدار رأسه إلى عبد اللطيف وقال:**

**-يا شيخنا الجليل أنت ستمارس طقوسك كما هي.. نريد منك تنظيف المكان وتهيئته ونحن سنفتح مكان الكنز.**

**صمت الشيخ قليلاً وقال:**

**-أنا لا أحب أن أرد طلبًا لك يا عزت أفندي ولا أحب أن يغضب سليم باشا منا، ولكن تذكروا أن الأمر في منتهى الخطورة إذا لم نأخذ كل احتياطاتنا.**

**هنا تهلل وجه سليم باشا:**

**-إذن أنت موافق يا شيخ؟**

**-أنا موافق، ولكن سيكون عليك تنفيذ ما أطلبه منك بغاية الدقة من هنا إلى يوم أن ندخل إلى مكان الكنز... هل تعلم مكانه؟**

**-نعم أعلم مكانه جيدًا، تعال معي أريك إياه.. تعال يا عزت.**

**خرج الثلاثة من الصالون. الكبير ثم ساروا إلى آخر القصر وهناك فتح سليم الباب الخلفي للقصر ودخل إلى حجرة ملحقة به. كان الليل مظلمًا وكان ضوء المصباح يتراقص في يد عزت.**

**دخلوا الحجرة.. كانت قديمة بها أشياء مهملة وملابس بالية وأثاث محطم وكثير من خيوط العنكبوت.. وفي ركن من أركان الحجرة أشار**

**سليم:**

**-هنا مكان الكنز.**

**نظر عبد اللطيف إلى الأرض فلم يكن هناك أي علامة تدل على شيء مدفون إلا أن سليم أزال بعض التراب فإذا بخشب يظهر. كان عبارة عن باب لقبوٍ أسفل الحجرة القديمة كان قد بُنيَ من زمن قديم.**

**سأل الشيخ عبد اللطيف:**

**-وماذا بداخل هذا القبو؟**

**أجابه سليم:**

**-هذا القبو بناه أجدادي ليحفظوا فيه أشياءهم القديمة وعلى مَرِّ السنين لم يعد أحد يستخدمه ولم يفكروا في ردمه بالتراب فتركوه هكذا، والكنز تُشِير الخريطة أنه مدفون تحت القبو بستة أمتار.**

**-وهل هو كنز أم مقبرة؟**

**-لا أعلم يا شيخ عبد اللطيف.. لا أدري حقًا، ولكن ليس هناك أهمية لهذا الفرق!**

**-ومن قال هذا؟؟.. لو كانت مقبرة فإن الحراسة عليها ستكون قوية وهذا أمر خطير جدًّا!!**

**قال عزت:**

**-يا شيخ عبد اللطيف لا تعقد الأمور.. الله معنا وأنت نعمة وفضل من عند ربنا أنعم بك علينا حتى تساعدنا فيما نحن فيه... يا شيخ عبد اللطيف اجعل الأمور تسير.**

**عاد الثلاثة إلى الصالون مرة أخرى ثم جلسوا، قال الشيخ موجِّهًا حديثه لسليم وقد بدا عليه معالم الاهتمام وكأنه بدأ عمله الجاد على الفور:**

**-عليك أولًا أن تكون واثقًا في الله وأنه لا حيلة في الرزق ولا شفاعة في الموت.. قل لي يا سليم -قالها بدون اللقب مما أثار استغراب سليم وعزت- هل تحافظ على الصلاة وباقي شعائر الدين؟"**

**-نعم، الحمد لله.**

**هزَّ الشيخ رأسه علامة على الرضا ثم استطرد:**

**-ينبغي أن تكون متصدقًا على الفقراء والمساكين وأن تكون ختمت القرآن الكريم ولو مرة واحدة في العمر هل قمت بذلك ؟**

**- الحمد لله.**

**-إذن سأقوم أنا غدًا صباحًا بتطهير المكان وتبخيره أما أنت فعليك بالأتي:**

**إزالة الأنوار من المكان وتركه مظلمًا واعمل على أداء الصلاة وبالذات العشاء في مكان القبو لمدة خمس ليال ثم تجلس بعد صلاة العشاء من اليوم الخامس في اتجاه القِبلة وتقرأ سورة يَس عدد سبع مرات وقبل القراءة لابد من تبخير المكان بالعنبر.**

**و هنا طلب الشيخ عبد اللطيف ورقة وقلم.. كتب على الورقة بعض الأشياء ثم أعطاها لسليم باشا، وقال:**

**-احفظ هذا الدعاء ، بعد الانتهاء من قراءة سورة يس وأنت على سجادتك تقول:**

**(توكلوا يا خدام هذه السورة الشريفة بحقها عليكم وطاعتها لديكم واظهروا وبينوا لي ما في هذا المكان من خبيئة أو دفين أو كنز بحق هذه الآيات عليكم توكل يا طارش يا ملك العمار أنت وخدامك وأعوانك وأظهر لي ما في هذا المكان بارك الله فيكم وعليكم).**

**عليك أن تقرأ هذا التوكيل إحدى وعشرين مرة على البخور، وبعد الانتهاء لاتقم من مكانك بل سيكون هو منامك في هذه الليلة! ثم طلب الشيخ الخروج على أن يأتي في الصباح الباكر ليقوم بتبخير المكان.**

نهض سليم وشكر الشيخ على حضوره وودع عزت ثم أغلق باب القصر..
توجه إلى غرفته لينام ويقوم بتنفيذ ما طلبه الشيخ من الغد.

* * *

# (٢)

في الصباح حضر الشيخ متأخرًا واعتذر عن ذلك بأن أخاه الحج مهدي استوقفه ليتناقش معه في أمر ما.. ثم قام بتنظيف المكان بتلاوة الأذكار وتبخير القصر وأخيرًا حجرة القبو ثم غادر. في خلال أربعة أيام قام سليم بتنفيذ ما طلبه الشيخ حرفيًا، وفي اليوم الخامس بات في حجرة القبو بعد أن صلى العشاء وأتم القراءة والأدعية المطلوبة منه!

في اليوم السادس قبل منتصف الليل حتى لا يعلم أهل القرية بما يحدث حضر الشيخ عبد اللطيف الذي أصر سليم على حضوره أثناء الحفر ليجد في استقباله سليم وعزت وقد تجهَّزا بأدوات الحفر وطلب الشيخ من عزت أن يطفىء أنوار القصر كلها إلا مصباح واحد أحضروه معهم وطلب منهما عبد اللطيف أن يشعلاه بعد قول اسم الله عليه. أزال عزت أفندي باب القبو وأخذ المصباح وبدأ في النزول من فتحة القبو الضيقة ثم همس للشيخ عبد اللطيف أن ينزل فنزل الشيخ عبد اللطيف وتبعه سليم وقام بإغلاق فتحة القبو وراءه فساد الصمت في

الحجرة.

ولكن أسفل الحجرة وداخل القبو كان هناك ثلاثة رجال يسعون وراء كنز فرعوني. ولا يعرفون خطورة هذا الأمر جيدًا وإلا ما انتهكوا حرمة فرعون ميت!

كانت سلالم القبو قديمة جدًّا وأكلَهَا السوس فصارت محطمة فأخذ الثلاثة ينزلون بحذرٍ شديدٍ.. لم تكن تلك الرائحة العطنة هي أكثر ما أوجس خيفة سليم الصاوي ولا هذا الهواء المجهول الذي يداعب لهيب المصباح في يد عزت ولكن إحساسه المرعب بأن هناك من يسير خلفه!

هذا الإحساس الذي زيفه الموقف وظلمة القبو أو هكذا كان سليم يظن!

إنه لم يفكر يومًا ما أن ينزل إلى هذا القبو وينظر ما فيه.. لطالما كانت تلك البقعة غامضة بالنسبة إليه..

لم يدرك أن كل العقلاء الذين يسكنون القصور يلتزمون بتلك الحكمة:

"عندما تسكن قصرًا قديمًا.. قبل كل شيء فتِّش عن القبو".

**لم يكن لديه وقت أو ربما سبب.. وهذه الليلة لديه سبب.. إنه يسعى للوصول إلى كنز لم يصل إليه أحد من قبل ولا اللورد هانز الذي أفنى حياته وراء الكنوز والمقابر الفرعونية.. فقط سيكون هو وحده من يصل إلى تلك الحقبة التاريخية.. هذه التحف الثمينة جارة التراب ستكون جارته هو وسيضمها إليه بعد وقت قليل..**

**قاطعت أحلامه كلمات الشيخ عبد اللطيف وهو يطلب منهما أن يشرعا معه في الحفر.**

**و بدأ الحفر..**

**عند أول ضربة معول أحس سليم أن هناك صوتًا في الأعلى، ولكنه ظن أنها هواجس خاصة به ألهمته إياها ظلمة القبو وفزعه الذي يخفيه عن أعين صاحبيه.. لكن وبكل أسف لم يدرك أن الصوت الذي سمعه في الأعلى قد سمعه الشيخ عبد اللطيف وعزت أفندي في نفس الوقت ولم يصرح كل منهما لنفس أسباب سليم ولو تجرأ أحدهم وصرَّح بما سمع لكان الأمر تغير على الإطلاق.. ربما!**

**أخذ الثلاثة يحفرون وقد تصبب العرق منهم في هذا الجو الخانق.. "تبقى لنا متر واحد..".**

**قالها سليم.. فاشتد الحفر أكثر وأكثر حتى انتهوا من الحفر ولم يظهر شيء!**

**ظهر القلق عليهم.. عندها أشار عزت بالحفر في مكانٍ آخر فلعل الفراعنة أرادوا تضليلنا ولكن سليم رفض وقال إن الخريطة سليمة ولم يكتبها الفراعنة وإنما هو باحث متخصص يعرف المكان بدقة، وطلب منهما أن يحفرًا معه مترًا آخر.**

**قبل أن يكتمل حفر هذا المتر ارتطم المعول بمزلاج حديدي فأحدث صوتًا مخيفًا هذا الصوت الناتج عن ارتطام قطعتين حديد بعضهما البعض.. بدأوا في كسر المزلاج وأزالوا الغطاء الخشبي العتيق فإذا هي فتحة ورائها ظلام دامس.. ابتسم سليم وعزت إلا أن الشيخ عبد اللطيف أخذ المصباح وأنزله بداخل الفتحة..**

**أخفض رأسه في الفتحة وبدأ ينظر إلى الداخل..**

**من ورائه سليم وعزت تظهر عليهما علامات الفرح.. الكنز قد بات قريبًا. بعد لحظات أخرج الشيخ عبد اللطيف رأسه من الفتحة وهو يعطي ظهره إلى سليم وعزت.. صار يتمتم بكلمات غير مسموعة بينما كان ينظر إلى الفتحة.**

**فجأة استدار إلى سليم وقد امتلأ وجهه رعبًا حتى أن سليم عندما رآه شهق من فرط الخوف!**

**اقترب عزت من سليم وأخذا يسألان الشيخ عما رآه من الفتحة..**

**نطق عبد اللطيف بكلمات صاحبتها حشرجة قوية: "ليست كنزًا.. ليست كنزًا.. إنها مقبرة"!**

**انطفأ المصباح مرة واحدة، ولكن قبل أن تنطفىء بثانية أحسَّ سليم أن هناك يدًا خرجت من فتحة المقبرة ثم سمع الاثنان صرخة قوية خرجت من حنجرة عبد اللطيف..**

**صرخ عزت: "هيَّا يا سليم فلنخرج الآن بسرعة "**

**شدَّ عزت كتف سليم الذي استفاق من هول الموقف وركضا إلى سلم القبو وأخذا في الصعود على السلالم التي تتكسر تحتهم. غرزت قدم سليم إلا أن عزت جذبه سريعًا.. خرج عزت من الفتحة وتبعه سليم الذي سمع صوت عبد اللطيف وهو يقول كلماته الأخيرة:**

**-أغلقوا القبو.. أغلقوا أبواب الجحيم.**

ثم صرخ صرخته الأخيرة التي سمعها سليم وعزت وهما يغلقان باب القبو وراءهما..

صرخ عزت في سليم: أحضِر قلمًا.. وبسرعة.

-ليس معي قلم هنا.. القلم في القصر.

-أحضره حالًا.. والإ فإن الجحيم سينهال علينا!

لهث سليم إلى القصر فارتطم ببعض الأثاث وسقط أرضًا في ظلمة القصر الحالكة.. ولكنه بعد مشقة عثر على القلم ثم بدأ يهرول حتى يعود إلى عزت الجالس على أبواب الجحيم.. دخل سليم الحجرة ليجد عزت يمسك بباب القبو فنزع عزت القلم منه وكتب على القفل الموضوع على فتحة القبو: "أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق".

ثم تنفس بعمق وغمم قائلًا: "الحمد لله الذي نجَّانا.. هكذا لن يستطيع أعتى الجن أن يخرج من القبو.. لقد تأخرنا يا سليم في غلق القبو، ولكن الله لطف بنا".

**نظر سليم بقلق إلى الملابس المعلقة على حائط القبو وهو يعلم أن هذه الملابس البالية كانت ملقاة على الأرض ولم تكن معلقة هكذا.. ثم غمغم وقال: "الحمد لله "!**

**عاد عزت إلى بيته بينما صعد سليم إلى غرفته... وهو يفكر ويطرح هذا السؤال على نفسه " ماذا لو أن أحد الجن تحرر بالفعل من باب القبو"؟؟**
**ثم بدأ يطرد هذا الوسواس عن خاطره.**

**عندما استيقظ من نومه لم يعرف عدد الكوابيس التي مرت به ولا يستطيع أن يصفها إلا أنه يتذكر جيدًا أنه كانت هناك ثمة قطة سوداء لها فحيح وصراخ كأنه يأتي من الجحيم!**

**لم تنتهِ الكوابيس في ذلك القصر.. كانت تلك القطة السوداء تطارده في أحلامه وكانت تتوعده دومًا بالويل والعذاب.. لذلك فإن سليم قرر أن يترك القصر ويعيش في القاهرة بصفة دائمة.**

**عند محطة القطار كان عزت أفندي يودع سليم باشا واتفق الأخير معه أن يهتم بالقصر ويخفي أمره تمامًا وأخبره أنه سيعود يوم الثلاثاء القادم لأخذ بعض الأوراق الهامة التي نسيها في المكتبة ومن بينها الكتاب القديم.**

**في نهار يوم الاثنين وبينما سليم خارجًا من المحكمة في طريقه إلى بيته في القاهرة قابله أحد أهل القرية الذين يعملون بالتجارة فاستوقفه سليم وسأله عن القرية وأهلها فأخبره الرجل أن عزت أفندي توفى غارقًا في الترعة وهو عائد من زيارة أخته قبل منتصف الليل!**

**كان وقع الخبر على سليم أليمًا ومخيفًا في نفس الوقت وانصرف من أمام الرجل بدون أن يودعه مما أثار استغراب الرجل وظن أن ذلك إنما حزنًا على عزت أفندي.**

**عاد سليم إلى بيته وقد أصابته حمى شديدة وهلوثة وصار يقول كلمات غير مسموعة لزوجته إلا أنها عندما أصغت بسمعها سمعته يقول: "تركت القصر فماذا تريدين!"**

**توفي سليم باشا في ليلته تلك بين أحضان زوجته المكلومة وأولاده**

**فقد كان سليم في صحة جيدة ولم يكن لتلك الحمى سبب واضح.. أو على الأقل بالنسبة إليهم!**

* * *

# (٣)

*صيف ١٩٦٩..*

**مرت تسع سنوات على هذه الحادثة والقصر مهجور لا يسكنه أحد مما جعل الزوجة تعرض القصر للإيجار فقد تشاءمت منه بعد أن سمعت كلمات زوجها الأخيرة عنه.**

**كان الحظ من نصيب طبيب شاب جاء عمله في قرية مجاورة ولم يكن يحب أن يسكن تلك الحجرة الضيقة في الوحدة الصحية فقرر أن يؤجر بيتًا قريبًا من عمله وعلم من بعض أهل القرية أن هذا القصر لا يسكنه أحد فقرر أن يستأجره.. لكن الزوجة أصابتها الحيرة كيف يستطيع هذا الشاب حديث التخرج أن يستأجر قصرًا بهذا الثمن، ولكن الخفير الذي كان يحرس القصر أخبرها أنَّ أباه ثري، يعمل تاجرًا للحبوب والغلال..**

**على الفور وافقت الزوجة وأجَّرت القصر.. واستلم الشاب الطبيب مفاتيح القصر..**

**كان هذا الشاب اسمه (رافي).**

**"هذا هو القصر يا حضرة الطبيب ".**

**نظر رافي الطبيب الشاب الذي يبلغ من العمر تسعًا وعشرين سنة إلى القصر، يبدو من هيئته أنه مدلل ووسيم إلى حد كبير، له حاجب رفيع وعين سوداء لامعة بصورة مثيرة.**

**إنه من ذلك النوع الذي يصنع هدفًا ويلهث وراءه، وعندما جاء عمله في الريف لم يتردد ولم يحاول أن يجد واسطة تنقله إلى المدينة حيث الراحة والرفاهية في العيش، لذا فإنه قرر أن يستأجر هذا القصر وأن يساعده والده التاجر في استئجاره كما قال الخفير الذي عيَّنه عزت أفندي على حراسة القصر قبل أن يموت بأيام وبعد أن غادره أصحابه من تسع سنوات.**

**أما عن القصر فإنه يقبع بعيدًا عن القرية وعلى حافة الأفدنة التي كان**

يمتلكها سليم الصاوي، ولكن معظم تلك الحقول تم تأجيرها للفلاحين أو بيعها فلم تكن الزوجة تريد أن يكون لها أو لأولادها أي علاقة بالقرية خاصة بعد تأجير القصر.

أما إيجار الأرض فإنه يصلها كل سنة عن طريق أحد أبناء عزت أفندي والذي كان يتولى هذا الأمر حفاظًا على العلاقة الوطيدة بين أبيه وبين المرحوم سليم الصاوي.

القصر قديم وبعض شرفاته متهالكة كما أن الشروخ تظهر على بعض الجدران، النوافذ طويلة يغطيها التراب الذي تراكم عليها لمدة تسع سنوات فهي لم تُفتَح أبدًا طيلة هذه المدة..

كان القصر محاطًا بأشجار الكافور المتشابكة والتي تضفي عليه لونًا من الغموض، وكانت بعض أشجار النخيل متناثرة هنا وهناك.. وأمام القصر نبتت الحشائش البرية والبوص.

لم يكن ما بداخل القصر أسعد حظًا ممن خارجه، فقد كان الخفير يريد أن يأتي بخادمة من أهل القرية كي تنظف القصر من الداخل أسبوعيًا، ولكن عندما أهمله أصحابه تمامًا لم يجد الخفير حاجة في أن

**يحضر الخادمة لتنظف القصر.. وهكذا لم يدخل القصر أحد طوال التسع سنوات.**

**فتح الخفير باب القصر الخشبي العتيق فأحدث صريرًا مهيبًا.. كان رافي يشعر بالأسى على حال هذا القصر ويفكر كيف يعيد فيه الحياة من جديد.**
**دخل رافي القصر يتقدمه الخفير.. كان الظلام دامسًا وتنبعث من أرجاء المكان رائحة خانقة!**

**"لا تقلق يا حضرة الطبيب، فعندما تأتي البنت سعدية ستنظف القصر وتجعله جديدًا لامعًا".**

**قالها الخفير وهو يفتح نوافذ الطابق الأرضي واحدًا تلو الآخر حتى تدخل الشمس إلى المكان، كانت هذه هي المرة الأولى من تسع سنوات التي تدخل فيها الشمس إلى هذا القصر.**

**"هذا هو الصالون يا حضرة الطبيب".**

دخل رافي إلى الصالون الواسع وأخذ ينظر إلى مقاعده ولفت انتباهه تلك الأريكة الأنيقة رغم التراب المتراكم عليها فأخذ ينفض عنها التراب لتظهر وقد نسجت عليها لوحة فنية رائعة عبارة عن فتى وسيم له جناحان يطير في الهواء وتمسك به من الخلف فتاة بارعة الجمال لها جناحان أيضًا وكان شعرها يتطاير في الهواء حتى إن رافي تخيل أن شعرها المرسوم على الأريكة يهتز بالفعل من روعة التصوير!

استأذن الخفير من رافي أن يخرج قليلًا حتى يضع علفًا أمام بقرته الصفراء ثم يعود إليه.

أخذ رافي يتجول في الطابق الأرضي فوجد حجرة مغلقة.. مدَّ يده إلى مقبض الباب الذي يعلوه الصدأ ثم أداره فانفتح الباب محدِثًا صريرًا مخيفًا، أحس رافي برهبة لا يعلم سببها.

تقدم بضع خطوات وهو يتعثر في بعض المقاعد المتناثرة هنا وهناك فقد كان الضوء القادم من النوافذ في الخارج ليس كافيًا لتكون الرؤية واضحة، ولكن بعد لحظات استطاع أن يميز ما بداخل الحجرة.

كانت مكتبة تحتوي على مئات من الكتب. لم يتخيل رافي أن يجد في ذلك القصر مكتبة بهذا الحجم!

كان هذا أول شيء يسعده وسط هذا الركام المتناثر..

إن مهمته شاقة في ذلك القصر وعليه أن ينجز عمله ويعيد إليه الحياة من جديد!

كان الطابق الأرضي يحتوى على هاتين الحجرتين ودورة مياه مع صالة كبيرة وهناك سلم في جانب الصالة.

صعد على درجات السلم الخشبي إلى الطابق الثاني حيث يتكوَّن من ثلاث حجرات وصالة صغيرة ودورة مياه ثانية.

كانت حجرتان للأولاد والأخرى لسليم الصاوي وزوجته.. قرر أن يدخل حجرة سليم توجه إليها ثم مدَّ يده إلى مقبض الباب.

أنصت برهة فقد أحس بأنه سمع صوتًا داخل الحجرة، سمع الصوت مرة ثانية فتسارعت دقات قلبه..

أدار المقبض وفتح الباب ليرى ما بالداخل.. فتح الباب.. أحدث صريرًا مخيفًا كما بالأسفل. نظر بالداخل...

كان الظلام دامسًا، ولم تكن ثمة نافذة قد فتحت بعد.. توجه ببطء إلى حيث تكون النافذة.. أصبح قريبًا منها فامتدت يده وأخذ يحركها حتى انفتحت.

دخل الهواء المنعش إلى الحجرة الخانقة يحمل بين يديه أشعة الشمس الذهبية فأضاءت الغرفة.

نظر رافي إلى حيث كان الصوت مسموعًا فوجد بعض الفئران التي عاشت بين أحضان هذا القصر دون أن ينغص حياتها أحد من قبل. عندما رأت رافي ولَّت هاربة من الباب.

فجأة سمع رافي صوت أقدام تصعد على السلم.. فإذا بالخفير ينادي عليه ويخبره أنه أرسل إلى سعدية وطلب منها أن تأتي بعد قليل حتى تبدأ عملها في تنظيف القصر.

-ومتى سوف تنتقل إلى القصر يا رافي بيه؟

-غدًا سوف أسكن القصر.. والأن سوف أرحل كي أحضر أغراضي غدًا في المساء.

**انتقل رافي إلى القصر فوجد الحياة عادت إليه من جديد.. كانت الخادمة سعدية قد نظفت القصر وقامت بمسح التراب من فوق الأثاث وأحضرت بعض أدوات المطبخ الضرورية حتى يستطيع رافي أن يعيش في القصر مؤقتًا إلى أن يحضر ما يحتاجه بنفسه.**

**أعطى رافي أجر الخادمة للخفير حتى يوصله إليها وحذَّره أنه سيسألها فيما بعد عن عدد النقود التي أخذتها حتى لا يختلس الخفير منه شيئًا..**

**كان هذا آخر عهد رافي بالخفير الذي انتهت مهمته بتسليم رافي القصر، وعاد الخفير إلى بقرته الصفراء.**

**صعد رافي إلى الطابق الثاني واختار حجرة من الحجرات الثلاثة حتى يسكن إليها فاختار أوسعها وكانت حجرة سليم الصاوي. كان مرهقًا جدًّا فأغلق الباب عليه ثم انغمس في نوم عميق. قام من نومه ليلًا عند الساعة العاشرة وكان الظلام يلف المكان.. لقد نسى أن يشعل (مصباح الجاز) ويخفض ضوءه حتى إذا قام من نومه عمد إليه وأعلاه.. فأخذ يبحث عنه في الطابق الأرضي حتى وجده.. توجَّه إلى المكتبة فقد كان شغوفًا إلى الاطلاع على ما فيها من كتب.**

**أخد يتصفح في المكتبة وهو يجلس على ذلك المكتب وبجواره الضوء وبينما هو كذلك أحس بهواء يصفعه من خلفه.**

**نظر إلى ورائه فإذا النافذة لم يتم إحكام إغلاقها.. أغلقها ثم عاد يكمل قراءته.**

**بعد حوالي الساعة، أحس بالنعاس يعاوده من جديد فأغلق باب المكتبة ثم صعد إلى حجرته.**

* * *

# (٤)

في الصباح الباكر قام من نومه ثم ارتدى ملابسه فقد كان هذا أول يوم له في عمله كطبيب في الوحدة الصحية.

خرج من القصر ثم بدأ يسير على طريق ترابي بين الحقول على جانبه ترعة كبيرة وتفترش الجانب الآخر مساحات هائلة من حقول الذرة تلمع عليها قطرات الندى حين امتدت يد الشمس الحانية تداعب أوراقها لتستقبل يومها الجديد.

وكأن الطيور تحتفل بقدوم هذا الضيف الجديد إلى البلدة فقد قامت من أعشاشها ورفرفت في الفضاء.

و لعل حضور رافي كان مبهجًا إلى الحد الذي قامت تلك الطيور الليلية من مخبئها في هذا الصباح الباكر وهو مالم تفعله من قبل.. فقد كان هناك مجموعة من البوم صارت تنعق في السماء على الطريق الذي كان رافي يسير عليه وكان هنالك صقر يحوم فوقه!

كان مبنى الوحدة الصحية جديدًا وتحيط به بعض أشجار التوت ونباتات الزينة المتسلقة.. كان عبارة عن حجرة للكشف وحجرة للإداريين وصالة انتظار بلا سقف في الهواء الطَلِق وخلف الوحدة هناك مكان واسع يلقون فيه مخلفاتها أو يستعملها البعض كدورة مياه!

دخل رافي وسلم على زملائه الجدد.. قدَّم أوراقه إليهم واعتمدوها على الفور. وهناك في هذا اليوم تعرَّف على صديقه الجديد ( طاهر)!

طبيب شاب من أسرة متواضعة تخرج في نفس السنة التي تخرج فيها رافي، كان مرحًا أسمر البشرة ومع ذلك كانت عيناه زرقاء على نحو ملفت للنظر!

كيف يجتمع الأسمر مع الأزرق؟ لا أحد يدري.. وكان هذا مثار تساؤلات العديد ممن يتعرف على طاهر جديدًا.

لم يكن هذا فقط هو ما يثير التساؤلات حول شخصية طاهر.. فقد كان مرحًا لا أحد ينكر ذلك، ولكنه كان غامضًا أيضًا.. طاهر هذا من النوع الذي يستطيع أن يجمع كل المتناقضات في شخصية واحدة.

**كسول لدرجة أنه قد يموت جوعًا كي لا يذهب إلى المطبخ ويحضر الطعام، نشيط كذكر الذباب في موسم التزاوج.**

**تستطيع أن تصفه في أول الأمر أنه شخص متعي تقوده غرائزه ثم تتراجع عندما تراه يذهب في جوف الليل ليقوم بالكشف على فقير لا يمتلك مليمًا واحدًا!**

**هذا الشاب الذي أتى من القاهرة إلى قرية في محافظة البحيرة تبعد عنه مئات الكيلومترات كان بمقدوره أن يجد مكانًا قريبًا منه، ولكنه أتى هنا.. لماذا.. لا أحد يدري!**

**بشرته السمراء لا تناسب ابن المدينة وعيونه الزرقاء لا تناسب بشرته السمراء وصفاته لا تتناسب مع بعضها البعض.. إنه تركيبة غريبة يندر أن تجد مثلها.**

**أثار ذلك فضول رافي فقرر أن يتقرب منه ليكون صديقه الوحيد.**

**وبالفعل صار الاثنان صديقين وتبادلا الأحاديث فيما بينهما واستمتع رافي بأفكار صديقه الجديد عن الحياة والبشر مما شجعه أن يدعوه ليزور القصر ويتناولان الغداء ويتناقشان سويًّا.**

رحَّب طاهر بالفكرة على الفور وكأنه كان ينتظر شيئًا كهذا بلهفة، وفور انتهائهما من العمل توجها إلى القصر.

على مائدة الغداء في حوالي الساعة الخامسة كان يجلس رافي وأمامه طاهر يتناولان الأرز والبط السوداني الذي صنعته الخادمة سعدية من أجل زيارة صديقه الجديد.

"عندما دخلتُ هذا القصر أحسست كأني عشت فيه زمنا قبل ذلك "

قالها طاهر وهو يلتهم قطعة لحم كبيرة ثم أردف قائلًا:

-كما أنه يسعدني أن يكون لي صديق من أصحاب القصور أيها الأرستقراطي الوسيم.

ضحك رافي وقال:

-هذا صحيح لو اعتبرنا أن هذا قصرًا حقًّا.

-إنه قصر واسع.. ربما هو قديم شيئًا ما، لكنه ما زال رائعًا يبدو أنك تخاف من الحسد يا رافي.

-وهل تخاف أنت من الحسد ؟

**-لا أبدًا أنا لا أؤمن بالحسد على الإطلاق، تلك الكلمة التي صارت مثل خزانة الملابس تتكوم فيها خيباتنا في رضا وسلام.**

**-فهمت نوعك إذن يا طاهر.**

**-وما هو نوعي؟**

**-الشخص الثائر على تقاليد الآباء والأجداد والذي يتمسك بالعِلم ولا يرضى له بديلاً.. أستطيع مثلًا أن أخمن أنك تعتبر الجن خرافة..**

**اندهش طاهر من كلام رافي الأخير وقطب جبينه ثم ابتسم وقال:**
**-لا يا رافي لم أرَهم من قبل، لكنني مؤمن بوجودهم.**

**ابتسم رافي بدوره وقال بشيء من التحدي:**

**-إذن فكيف تؤمن بهم وأنت لم ترَهم؟**

**-ليس كل ما لا تراه عيناك غير موجود.. فهناك فرق كبير بين إدراك وجود الشيء وبين وجوده.. فنحن لم ندرك وجود البلهارسيا إلا بعد اكتشاف "تيودور بلهارس" لها عام ١٨٥١، فعدم إدراكنا ومعرفتنا لوجودها لا ينفي وجودها من قبل، وعدم رؤيتنا للجن لا ينفي أن يكون موجودًا.**

**-ولكن البلهارسيا كانت موجودة قبل ذلك؛ لأن الناس في مصر كانوا يموتون سنويًا بالآلاف بسببها ومازالوا، ولم يكن متبقيًا إلا معرفة سبب هذا المرض وهو ما اكتشفه تيودور بلهارس.. فالفرق هنا كبير يا طاهر.**

**-ليس هناك فرق يا رافي.. فكثير من الأحداث في عالمنا هذا لن تجد لها تفسيرًا منطقيًا سوى أن تقول إنها من أفعال الجن.. ما رأيك في هرم خوفو.. هل تعلم أن وزنه ستة ملايين وخمسمائة ألف طن، مكون من أحجار تزن كل منها اثنا عشر طنًا تقريبًا، وتبلغ كمية الحجارة التي استخدمت في بنائه نحو ٢٣٠٠٠٠٠ قطعة حجرية.. كما أن ارتفاع الهرم خوفو مضروبًا في مليار، يساوي المسافة ما بين الأرض والشمس، ليس هذا فقط بل إن أركان الهرم الأربعة تتجه إلى الاتجاهات الأصلية الأربعة في دِقة مذهلة -ومن الغريب أيضًا أن المدار الذي يمر من مركز الهرم يقسم قارات العالم إلى نصفين متساويين تمامًا.. قل لي كيف يستطيع البشر صنع شيء كهذا؟**

**تعجب رافي من تلك المعلومات الحاضرة وكيف يحفظ طاهر تلك الأرقام وهو الطبيب الذي من المفترض أنه أفنى سنوات دراسته في كلية الطب.. فكان ينصت في اهتمام لطاهر وهو يتحدث ببراعة ليؤكد وجهة نظره الخاصة..**

**-ولكن يا طاهر بقولك هذا فأنت تنفي العبقرية عن المصري القديم وأن معجزة الهرم الأكبر وغيرها من الإنجازات كانت من أفعال الجن!**

**عندئذ بادره طاهر بهذا السؤال:**

**-أعطيك مثالًا آخر.. ماذا عن لعنة الفراعنة.. ألم تسمع عنها؟**

**رفع رافي حاجبه وقال:**

**-بلى سمعت عنها.. وبخاصة ما تردد من أساطير عن اكتشاف مقبرة الفرعون الشاب توت عنخ أمون.**

**-أساطير!!.. لا يا صديقي العزيز رافي.. لم تكن أساطير وإلا فكيف مات وبأشكال غريبة كل العمال والمهندسين والأثريين والأطباء الذين عملوا في حفر واكتشاف المقبرة.**

**-ربما هي صدفة.. أو أنك اعتبرت موتهم غريبًا لأنك تؤمن بلعنة الفراعنة وقد يرى غيرك موتهم قضاء وقدر.**

**-أنا أتكلم عن آلاف العلماء الذين فسروا ذلك بأنه لعنة من الفراعنة الذين اشتهروا بالسحر.. أقوى أنواع السحر.**

حسم رافي أمره في داخله وقرر أن ينهي النقاش حتى يتسنَّى لهما الجلوس في حديقة القصر..

-لا عليك يا طاهر، اختلاف وجهات النظر لا يفسد للود قضية.. والآن هيَّا بنا نجلس قليلًا في حديقة القصر نتأمل الحقول أمامنا ونحن نحتسي الشاي الساخن.

-لكنك لم تأكل شيئا يا صديقى رافى.. أكلتك هزيلة جدًّا.

لم يكمل طاهر جملته حتى وضع رافي يده على معدته وتقيأ ما في بطنه.. ثم اعتذر لأن معدته تؤلمه هذه الأيام.

غسل طاهر يديه ثم خرج ينتظر صديقه رافي إلى أن يأتي بكوبيّ الشاي.

وبعد قليل أتى رافي بصينية الشاي عليها كوب واحد لطاهر معتذرًا هو عن تناوُل الشاي؛ تجنُّبًا لأي آلام أخرى قد تصيب معدته الملتهبة.

جلس طاهر يرتشف كوبه على مهلٍ شديد وهما ينظران إلى الحقول الزراعية أمامهما والشمس ترسل أشعتها الحانية لتحتضن الجميع قبل مغيبها في مشهد بديع.

**-هل تبيت معي الليلة يا طاهر؟**

**ابتسم طاهر ابتسامة غامضة وقال:**

**-أخاف أن أكون ضيفًا ثقيلاً عليك.**

**-أبدًا لا تقل ذلك، فالمغرب قد حان موعده والسير ليلًا في هذا الريف غير آمن.. انتظر حتى تبيت ليلتك هنا ونذهب إلى الوحدة في الصباح.**

**ابتسم طاهر وشكر رافي على معاملته الطيبة، وعندما غربت الشمس دخل الاثنان القصر وأغلقا الباب وراءهما.**

**أخذ طاهر يتفحص القصر من حوله إلى أن وقعت عيناه على حجرة المكتبة فسأل رافي عنها فأخبره أنها تضم كتب في شتى المعارف وأنه يستمتع بالجلوس فيها كثيرًا.**

**-وهل بإمكاني الدخول إليها؟**

**-تفضل يا طاهر.. البيت بيتك.. سأصعد أنا أرتّب لك حجرتك التي ستبيت فيها.. خذ هذا المصباح وأنا سأبحث عن الآخر في المطبخ.**

**دخل طاهر المكتبة ومعه المصباح وأخذ يتجول بين الكتب فاسترعى انتباهه ركن خاص به بعض الكتب الغامضة وعندما رآها ابتسم وكأنما كان يبحث عنها!**

**في الأعلى كان رافي يرتب الفراش الذي سينام عليه طاهر وبينما هو كذلك أحس أن هناك شيئًا يقف خلفه!**

**تسمر في مكانه فلو أن طاهر صعد على السلم الخشبي وجاء إليه لكان سمع وقع قدميه..**

**لم يكن طاهر بالتأكيد فمن هذا الذي يقف خلفه؟؟ هكذا كان يحدث نفسه في تلك الثواني التي تسمر فيها ثم قرر أن يلتفت وينظر خلفه.**

**يعتقد بعض الناس أن الفضول قد يقتل صاحبه وهذا البعض يعتقد أيضًا أن الشيء الذي يقف خلفك في الظلام ليس خطيرًا أبدًا إلا في تلك اللحظة التي تقرر فيها أن تكتشف ما هو.. عندئذ يتحول إلى وحش كاسر ويحطم عنقك أو يشرب دمك أو يفعل بك كل ما يجود به خيالك المذعور!**

**لعلك سمعت النصائح التي تقول لك وأنت صغير: لا تنظر في عين الذئب فلو نظرت في عينه سوف يلاحقك ولن يتركك إلا ممزقًا إربًا إربًا.. أو سمعت حين قالوا لك لا تستمع إلى غناء المرأة ذات الشعر الأسود الطويل على شاطىء الترعة فإنها النداهة تغني لك فتسحرك وتتبعها إلى حيث تفتك بك.**

**يبدو أن رافي لم يسمع كل هذا فقد استدار خلفه حيث سمع الصوت وحرك المصباح ناحيته!**

**سمع طاهر صوت صراخ رافي من الأعلى فتوجه إليه على الفور وأخذ يصعد السلالم ثم اقتحم الغرفة فوجد رافي ينظر إلى ركن في الغرفة فالتفت إليه فإذا هي قطة سوداء وقفت وقد ارتفع ذيلها إلى الأعلى وانتفش، أما آخر ذيلها فإنه يصنع زاوية قائمة وكانت عيناها زرقاء!**

* * *

# (٥)

**ابتسم طاهر وهو يميل ناحية القطة وقال:**

**-ما لك يا رافي.. أتخاف من تلك القطة.. أواه كم هي رائعة!**

**استغرب رافي من تصرف صديقه فأين هي تلك الرائعة.. إنها سوداء تظهر في ظلام الليل فأنى لها أن تكون رائعة..**

**اقترب طاهر من القطة وأخذ يتحسس ظهرها ورقبتها حتى استكانت له تمامًا واستسلمت.**

**حملها طاهر وقرر أن تبيت معه في ليلته هذه ورافي يتعجب أشد العجب من تصرف طاهر.. فتوجه الأخير إلى فراشه مع القطة وذهب رافي لينام في غرفته.**

**في الأيام التالية عاشت تلك القطة مع رافي في نفس القصر.. وكان يحضر لها الطعام والشراب ويكرمها غاية الإكرام.. إلا أنه لاحظ أن القطة تبدو حزينة إلا عندما يأتي طاهر.. تبدو فرِحة ومنطلقة ثم تذهب لتجلس على رجليه في سلام.**

**أحبها طاهر.. لدرجة أنه كان يأتي القصر حتى يراها وفقط. كان يصر على المكوث في البيت بجوار القطة السوداء!**

**أثار ذلك حفيظة رافي.. لم يستغرب في البداية، فالاهتمام بالقطط أمر طبيعي لدى كثير من الأشخاص إلا أن الأمر عند طاهر كان زائدًا عن الحد.. كان مخيفًا.**

**بعد هذا بأيام، أتى طاهر إلى القصر دون دعوة من رافي بل إنه أصر أن يبيت على الرغم من أن رافي أخبره أنه سيقضي ليلته خارج القصر.. فأقنعه طاهر بأن يسهرا في القصر فوافق رافي على مضض.**

**في الثانية صباحًا استيقظ رافي على صوت صقر يدق على النافذة وكأنه يريد أن يخترق الزجاج.**

رفع ستار النافذة الأحمر السميك وشاهد الصقر وهو يدق بمخالبه ومنقاره في مشهد مخيف.

هنا سمع رافي همس طاهر في الحجرة المجاورة، كان يتكلم بصوتٍ منخفض جدًّا.

ذهب رافي إلى حجرة طاهر، وأمسك بمقبض الباب الخشبى العتيق ثم أداره إلى أسفل..

فتح الباب فأحدث صريرًا مزعجًا ثم، اكتفى رافي بفتحة صغيرة ليرى منها طاهر... نظر إليه فإذا هو راقد على فراشه غارق في نومه!

اندهش رافي كيف يتخيل مثل هذه الأصوات غير الحقيقية.. ثم بدأ يغلق باب الحجرة ببطءٍ شديد.

استدار رافي ليعود إلى غرفته وبعد بضع خطوات أحس بصوت داخل غرفة طاهر فعاد وفتح الباب بسرعة ليجد طاهر ما زال نائمًا.

استغرب الأمر.. بدأ يخطو داخل الغرفة ببطء حتى لا يقلق طاهر..

ذهب إلى فراش الأخير وأخفض رأسه حتى يرى ما تحت الفراش. رفع غطاء الفراش عاليًا ونظر تحته.

كانت الحجرة مظلمة جدًّا فاضطر رافي أن يرفع ستار الغرفة الأرجواني فتسلل نور البدر المتشح بالسحاب الخفيف على خجل إلى الغرفة.. عاد رافي إلى الفراش وانحنى ليرى ما بالأسفل.

ارتعب عندما رأى زوجًا من العيون الزرقاء في جوف الظلام ثم فجأة أحس بحركة خلفه فتجمد الدم في عروقه ولم يحرك ساكنًا.. كان ينظر إلى هاتين العيون الثابتتين كالحجر.. وقف شعر رأسه حين امتدت يد من خلفه تلامس ظهره فصرخ صرخة شديدة ورفع رأسه بسرعة فارتطم بالسرير النحاسي وكان الارتطام موجعًا فدارت الدنيا به ثم فقدَ الوعي.

عندما أفاق رافي عند الفجر، وجد نفسه على فراشه في حجرته وإلى جواره يجلس طاهر يداعب القطة، تحسس رافي رأسه من أثر الارتطام ثم نظر إلى طاهر الذي بدأ بالكلام:

-سلامتك يا رافي.. هل أحضر لك الإفطار ؟

هزَّ رافي رأسه علامة على الرفض، ثم سأله عن ليلة البارحة فأجاب طاهر:

**-كنتَ غريبًا جدًّا يا رافي.. لقد استيقظت من نومي لأجدك في غرفتي تبحث عن شيء ما تحت الفراش وعندما هممت أن أسألك ماذا تريد في تلك الساعة المتأخرة جاءت ردة فعلك عنيفة وآذيت نفسك!**
**-والقطة.. القطة التي كانت تحت فراشك؟**

**-وما شأن القطة؟ إنها تبيت في غرفتي دومًا عندما أبيت عندك .**
**-لكنني سمعتك تهمس بكلام لم أسمعه جيدًا.**

**-تقصد أنني أتحدث وأنا نائم؟**

**-لا أعرف.. حقًا لا أدري هل كنت تتحدث أم أنني تخيلت ذلك.**

**-إن خيالك واسع يا عزيزي رافي.. أما الآن فدعني أحضر الإفطار لأميرتي السمراء!**

* * *

# (٦)

بعد مرور عشرة أيام..

هناك مكان في جانب الحديقة، قريبًا من باب القصر حيث تعوَّد رافي أن يجلس فيه وحده يطالع كتابًا يقتل به هذا الهدوء الريفي، فليس هناك مكان يستطيع الذهاب إليه بعد عمله وليست هناك أي أخبار أو أحداث تملأ هذا الفراغ.

انتهى رافي من مطالعة كتابه ثم صعد الطابق الأعلى إلى حجرته واستلقى على فراشه مستمتعًا بهواء الغرفة الرطب بعيدًا عن شمس أغسطس الحارقة، بدأ النوم يتسلل إليه تدريجيًا إلى أن غفا تمامًا.

استيقظ رافي من قيلولته وعلى وجهه ابتسامة راضية.لقد كان نومه عميقًا ولذيذًا، رفع الغطاء وأنزل قدمه اليمنى على الأرض وتأهَّب أن ينزل الأخرى إلا أنه أحس بشيء ما يلامس قدمه!

**قفز رافي حتى كاد يصطدم بالسقف وتراجع إلى آخر الفراش ثم بدأ يقترب من حافة الفراش مرة أخرى في حذرٍ، لم يكن يعرف لماذا قد يخاف المرء من قطة، وهل هو خائف فعلًا أم أنها ردة فعل طبيعية.**

**وصل رافي إلى حافة الفراش ثم أحنى رأسه إلى أسفل ونظر على الأرض فلم يجد شيئا، أحنى رأسه أكثر ولكن لا شئ. نزل إلى الأرض وقرر أن ينظر أسفل الفراش، كان الضوء يتسلل من خلف الستائر التي لم تقفل بإحكام، كان الضوء كافيا حتى يرى ما بأسفل الفراش.**

**رفع ملاءة الفراش ونظر في الأسفل فلم يجد شيئًا، أقحم رأسه أكثر وأخذ ينظر يمينًا ويسارًا، لكن ليس هناك شيء.**

**في تلك اللحظة برقت عيناه حين سمع مواء القطة من خلفه لم يكن مواءً وإنما أشبه بصوت مختلط بين مواء القطط وفحيح الثعابين، ولن أكون مبالغًا لو قلت وصوت امرأة أيضًا!**

**ارتطم رأسه مرة أخرى ولحظِّه التَّعِس جاء الارتطام في نفس مكان**

إصابته الأولى مما تسبب في فتح الجرح القديم ويبدو أنه نزف كثيرًا حتى فقدَ الوعي.

هكذا قال طاهر الذي جاء لزيارته قبل المغرب لأنه ينوي قضاء الليلة معه بعيدًا عن الضجيج الذي أصاب بيت عائلته بعد أن قررت خالته وأولادها الخمسة زيارتهم والإقامة لديهم ثلاثة أيام، عندها قرر طاهر أن يلوذ بالفرار من خنازيرها السمان الذين يأكلون الأخضر واليابس وأن يقيم مع رافي في القصر تلك المدة.

-وكيف استطعت أن تدخل القصر يا طاهر؟

ضحك طاهر..

-لو كنت تعلم أنني لص كبير لما سألت هذا السؤال.

ضحك رافي رغم الألم وقال:

-لا، لم أكن أعلم يا زير النساء يا سارق قلوب العذارى. هذا فقط ما علمته عنك في الأيام الماضية وما عرفته عن مغامراتك في القرية!

**ضحك طاهر مرة أخرى وقال:**

**-أنا لا أسرق قلوبهن، إنما أنا أستعيرها ثم أقوم بتجديدها وجعلها تنبض كطفل وليد.. بعد ذلك أعيدها مرة أخرى.**

**-كطفل وليد أم كزجاج مصباح مكسور يا طاهر..**

**-النساء يحبنّ من يكذب عليهن ويكرهن من يقول الحقيقة.**

**-لا أحد يكره الحقيقة .**

**-إذا كانت الحقيقة سخيفة ومملة فتأكد أنها ستعشق كذبك!**
**-يبقى الكذب كذبًا.**

**-وتبقى المرأة مرأة.. كائن يعيش على المجاملات الرقيقة .**

**-ولكن المجاملة تختلف عن الكذب.**

**-هذا ما يروِّج له البعض.. أعتقد أن النساء وراء هذا الترويج!!**

**ضحك رافي وأردف:**

**-يبدو أننا نختلف في تلك النقطة أيضًا، ولكن لم تقل لي كيف دخلت إلى القصر.**

**-ببساطة جدًّا.. وجدت باب القصر مفتوحًا!!**

**-حقا ولكن كيف!!**

**-يبدو أنك نسيت إغلاقه يا صديقي.**

**-لا طبعًا لم أنسَ ذلك، أنا أتذكر أني أغلقته جيدًا.. مَن فتح الباب إذن.**

**-لا أعلم، ولكنني حين دخلت من باب القصر ناديت عليك مرارًا فلم ترد فصعدت إلى أعلى فوجدتك ملقى على الأرض وأنت تنزف فربطت الجرح بعد أن قمت بتنظيفه ثم وضعتك على الفراش.. أه نسيت.. وكانت بجوارك القطة السوداء!**

**بعد أن رحل طاهر، جلس رافي في الحديقة المهملة يفكر في الأحداث التي مرت به في ذلك القصر مؤخرًا.. ما هي تلك القطة السوداء وكيف دخلت إلى القصر ولماذا أصبح طاهر غريبًا في الفترة الأخيرة ولماذا يعشق تلك القطة.**

**كانت أسئلة تثير حيرة رافي بالفعل فلو نظرنا إلى طاهر لوجدناه عاشقًا لتلك القطة السوداء يناديها بالأميرة والفاتنة وكثيرًا من الألقاب التي لا تليق إلا بعاشقة، ولماذا تبغض القطة رافي في الوقت الذي تعشق فيه طاهر!**

إن طاهر تغيَّر فعلًا فإنه لم يعد يأتي إليه في القصر كي يحادثه، إنه يأتي من أجل القطة ومن أجل أن يتصفح في ركن المكتبة القديم يبحث في تلك الكتب الصفراء.

لقد أحسَّ رافي بأن هناك أمرًا غير طبيعي يدور من حوله.. من هو طاهر؟ إنه لم يسأل نفسه هذا السؤال من قبل ومن أين أتى؟؟

إنه لا يعرف عنه سوى أنه من القاهرة، تخرَّج من كلية الطب ويعمل معه في الوحدة ويمتاز بطريقة غريبة في جمع المتناقضات كما أنه شخص غامض جدًّا ولا يبيح بما في داخله غير أنه يجيد المناقشة في الأمور العامة، إلا أن رافي لا يذكر أنه تكلم عن عائلته أو أموره الخاصة سوى هذا الحديث الهش عن خالته وأطفالها السمان!

انتزعه من خواطره صوت الطيور وهي تعود إلى أعشاشها بعد يوم حافل بالعمل، فقام وتوجه إلى القصر وأغلق الباب من خلفه وهو ينوى قضاء تلك الليلة في مكتبته الشائقة.

* * *

# (٧)

حل الليل على قريتنا الهادئة وعاد الفلاحون إلى بيوتهم بعد عمل شاق في الحقول واستقبلتهم نساء القرية بطعام العشاء.. فتجلس العائلة جميعا حول مائدة الطعام في ترابط وانسجام بديع وإلى جوارهم مصابيح الجاز ذات الرائحة العتيقة.

توقد الزوجة النار لتصنع عليها الشاى فلا يلبث الجميع حتى يجدوا أقداح الشاى الصغيرة توضع أمامهم ثم تؤذن العشاء معلنة إنتهاء هذا اليوم فلا شيء أخر تفعله العائلة اللهم إلا سهرة صيفية تتوزع فيها النكات والضحكات على أنغام الذكريات وقصص الماضى الجميل.

هناك في وسط القرية، امتدت يد الحج مهدي لتتناول قدح الشاى الساخن وهو يتلمَّظ إثر وجبته الدسمة التي التهمها مع عائلته المكونة من إخوته الأربعة وأبنائهم، أما هذا الطفل ذو العشر سنوات فكان ابنًا

لأخيه طارد الجن الشيخ عبد اللطيف الذي اختفى من تسع سنوات ولم يعرف أحد عنه شيئًا.

كان الحاج مهدي أكبر إخوته، ويسكن معهم في بيت عائلة من الطراز المنتشر في الريف المصري.

ارتشف ثلاث رشفات من قدح الشاي ثم ربت على بطنه ورفع حاجبيه وقد ضاقت عيناه.

نظرت إليه عزيزة وهي تملأ الأقداح بالشاي المغلي للمرة الثانية للأولاد الصغار الذين التفوا حولها في انتظار نصيبهم بعد أن شرب الكبار.

عزيزة تعرف زوجها جيدًا.. فقد أدركت على الفور أن زوجها يريد أن يقول شيئًا، ولكن ينتظر أن يسأله أحدهم فيغير جلسته ويصمت حتى يتأكد من أن جمهور المسرح قد اصطفوا أماكنهم واتخذت آذانهم وضعية الاستعداد ليضم شفتيه في امتعاض ويقلِّب بصره فيهم وهو يجلس على كنبة عالية ثم يقول:

-لا شيء!

هذا الطراز الذي يقول لنفسه مرارًا وتكرارًا أنت الأفضل لولا أن الحظ لم يبتسم بعد.

لا يحب الفقراء فما الذي قد يستفيده المرء من فقير لا يجد ما يأكله، ولا يحب الأغنياء لأنهم يجعلونه يدرك حجم الزيف الذي يعيش فيه!

يعيش أجمل لحظات حياته متشفيًا في مصائب أهل القرية، عبد الرزاق عندما ماتت بقرته السمينة تظاهر بمواساته بينما كان قلبه يرقص فرحًا بعد أن كان مغمومًا كلما رآها تكبر وتسمن أو سمع الفلاحين وهم يمدحونها بينما بقرته العجفاء لا تُدرّ لبنًا ولا تحمل لحمًا!

وناصر الذي تزوج من امرأة جميلة كان يحسده أيضًا خاصة كلما نظر إلى زوجته عزيزة التي تشبه عبد العاطي خفير قصر المرحوم سليم باشا، فرِحَ فرحًا شديدًا عندما علم أنها لا تنجب، امرأة جميلة لا تنجب مثل نخلة عملاقة لا تثمر لذا فليس بحاجة أن يرميها بأحجار عينيه الحاقدتين!

لم يعرف أحد من أهل البيت ما الذي يدور في عقل الحاج مهدي.. لم تكن عزيزة زوجته تعلم أنه بانتظار ضيف سيدقّ الباب عليهم في

**تلك اللحظات.. وعندما دُقَ الباب أشار الحاج مهدي إلى أحد أبنائه أن يفتح الباب ويدخل الضيف إلى المندرة حتى يتجهز له.**

**طلب من عزيزة أن تحضر الشاي قبل أن يدخل على الضيف الجالس في المندرة البسيطة.**

**"أهلاً وسهلا ً يا مرحبا يا حضرة الطبيب اللهم صل على النبي".**

**ابتسم طاهر وأدرك على الفور نوع هذا الشخص، إنه مثال رخيص للفلاح الذي يعيش حياته واضعًا خديه للأسياد لنيْل مصلحة أو دفع ضرر والذي لا تأمنه بدينار.**

**تمنى لو يستطيع أن يكور يديه لتصنع قبضة قوية ثم يطبعها على وجه هذا الأفَّاق اللعين، ولكنه حافظ على ابتسامته بعيدًا عن متناول قناعاته الداخلية وقال:**

**-عليه الصلاة والسلام.. البيت منوَّر بأصحابه يا حاج مهدي .**
**-إذن نحضر العشاء، والله العظيم لابد أن نذبح لك بقرة أو خروف.**
**-لا يا حاج مهدي لقد تعشيت قبل أن آتي إليك، قليل من الشاي يكفي.**

نادى الحاج مهدي على عزيزة فدقت الباب ثم تناول منها الشاي ووضعه أمام طاهر.

-أبلغني جمعة الموظف عندنا في الوحدة أنك تريدني في موضوع هام.. خير إن شاء الله، هل أصاب أحدًا من أهلك سوءٌ لا قدر الله؟
-لا يا حضرة الطبيب ليس هذا ما أردتك من أجله، إنما أردتك لأمرٍ آخر.
-وما هو؟
-إنه أمر بخصوص صديقك رافي.

أمسك كوب الشاي وقدَّمه أمام طاهر ثم عاد إلى مكانه.. ابتلع ريقه ثم بدأ يروي ما لديه:

-القصة تعود لتسع سنوات مضت، عندما رأيت أخي الشيخ عبد اللطيف وهو يمسك بأعواد البخور وأدوات أخرى لا أعرف عنها شيئًا فقد كان -رحمه الله-يطرد الجن !

تفاجأ طاهر قليلاً ثم ضاقت عيناه وكأنه يطلب من الحج مهدي أن يشرح أكثر..

**-أراد أخي الخروج من البيت في ساعة مبكرة يحمل أدواته والمواد التي يستعملها في طقوسه الخاصة، فأوقفته وسألته إلى أين تذهب يا شيخنا فأخبرني أن الأمر في غاية الكتمان.. حدثني أنه ذاهب إلى قصر سليم باشا، وأنه سيرجع ليعود إلى القصر في الليل ثم أمرني ألا أفشي سره.. وهكذا ذهب أخي إلى القصر ثم عاد إليه ليلاً كما قال ولم يرجع إلى الآن.**

**بعد اختفائه بأسبوع، قررت أن أبلغ الحكومة عن سليم الصاوي إلا أنني علمت بوفاة الأخير ففوضت أمري إلى الله.**

**-لا أدري ما أقول لك يا حاج مهدي فلعله سافر وسيرجع بعد ذلك، ولكن ما الذي يجعلك تظن أن ذهابه للقصر له علاقة باختفائه؟**

**ظهرت معالم الأسف على وجه الحاج مهدي بصورة مبالغة ثم برقت عينه فجأة وقال:**

**-قبل أن يغادر أخي من البيت، همس لي أن سليم باشا طلب منه أن يفتح معه كنزًا فرعونيًا مدفونًا في قبو داخل القصر!**

**بعد أن أنهى جملته، صمت يراقب ملامح وجه طاهر الذي ظل هادئًا تشوبه ابتسامة غامضة ليس لها معنى محدد.**

**-اعذرني في هذا السؤال.. وما شأني أنا بذلك!**

**-لأنك صاحبه.**

**-صاحب من؟**

**-أنت صديق لحضرة الطبيب الذي يسكن القصر.**

**-هل تقصد أن قصر رافي هو نفس قصر سليم باشا المدفون تحته الكنز الفرعوني؟**

**-نعم هو كذلك.. وأريد منك أن تساعدني في أن أعرف مكان جثة أخي.**
**-وما أدراك أن جثة أخيك في هذا القصر؟؟ قد يكون مات في أي مكان آخر أو لم يمت أصلاً.**

**-أنا على يقين من أن أخي قُتِلَ في هذا القصر.. أخي ذهب إلى القصر ثم اختفى يا حضرة الطبيب، وأنا أريد أن أعرف مكان جثته وأن أرى ما الذي مات من أجله.**

**-فهمت إذن.. أنت لا تريد أن تبحث عن أخيك، أنت تريد البحث عن الكنز أليس كذلك؟! أنا آسف يا حاج مهدي لا أستطيع مساعدتك وإن أردت شيئًا اطلبه من صاحب القصر، أما أنا فلن أفيدك في شيء.**

**-هل هذا آخر كلام يا حضرة الطبيب؟**

**ظل طاهر يرمقه وعيناه تضيقان أكثر وأكثر ثم ابتسم ابتسامة هادئة وقال له:**

**-نعم.. نعم يا حاج مهدي هذا آخر كلام عندي.. وأنا لن أخبر أحدًا وعلى أمل أن تبقى تلك الأمور في صدرك ولا تبوح بها إلى أحد.. صدقني فإن التعامل مع أمور كهذه في غاية الخطورة.. هذا ظني بك.. فلتنس الليلة بأكملها .**

**-هل تقول لي أن أنسى دماء أخي؟!**

**ضحك طاهر بسخرية:**

**-إنك لا تستطيع أن تنسى الكنز يا رجل وليس دماء أخيك الذي توفى من تسع سنوات وتحللت جثته أينما كانت.**

**استشاط الحاج مهدي غضبًا من كلام طاهر ولم يتحمل ذلك فقام واقفًا، وأخبر طاهر أن الوقت تأخر، وعليه أن يخرج الآن حتى يستطيع العودة إلى مبيته في الوحدة الصحية.**

**قام طاهر واستعد للخروج من البيت إلا أنه مال في اللحظة الأخيرة على أذن مهدي وأخبره أنه سيندم كثيرًا لو أنه أخبر أحدًا بالكنز! ثم ترك مهدي يغلى من الغيظ ومضى وهو يطلق صفيره في الهواء.**

* * *

# (٨)

في هذا الوقت كان رافي في المكتبة ينتقي ما شاء من الكتب يتصفح هذا ويترك هذا مستمتعًا بما لذَّ وطاب من أنواع المعارف والعلوم المتناثرة في أرجاء المكتبة إلى أن انفتحت النافذة مرة واحدة واندفع هواء قوي إلى الحجرة فأسرع إلى النافذة حتى يحكم إغلاقها.

أثناء مروره تعثر بأحد أركان المكتبة فسقط منها كتاب قديم يضم أوراقًا كثيرة متناثرة سقطت من الكتاب..

انحنى ليجمع تلك الأوراق ويعيدها مرة أخرى إلى مكانها لولا أن الفضول جذبه ليقرأ ما فيها.

عاد إلى المكتب ووضعها أمامه، أخذ ينظر إلى الكتاب فلم يجد له عنوانًا، فأخذ يتصفحه فإذا هو كتاب يتحدث عن الأرواح والكنوز

**المدفونة في باطن الأرض وبعض الكلام عن الفراعنة والمقابر الفرعونية والعوالم السفلية والعلوية إلى غير ذلك من الغيبيات وما وراء الطبيعة.**

**جذبه الكتاب بشدة وكيف أنه هنا منذ أن قدم إلى القصر ولم يرَه ولولا اندفاع الهواء من النافذة ما كان سيعرف شيئًا عن هذا الكتاب ربما بعد فترة طويلة.**

**أخذ ينظر في الأوراق فإذا ورقة مكتوب عليها بخط اليد ما يلي:**

**"أنا سليم الصاوي.. قمت مع عزت أفندي والشيخ عبد اللطيف بتطهير المكان ثم صليت العشاء وها أنا أبيت ليلتي في مكان الكنز في الحجرة القديمة الملحقة بالقصر وإلى جواري فتحة القبو التي سننزل منها غدًا في هذا الموعد.**

**المكان مظلم تمامًا وأنا أجلس وحدي وسأبدأ في قراءة التوكيل كما أمرني الشيخ.**

**لم أجد ما يسلِّي وقتي أفضل من أن أكتب تلك الكلمات ولا أعلم لم كتبتها لعلي إذا قرأتها يومًا أضحك على ما نفعله، فأنا إلى الآن أعتقد**

**أن الأمر بأكمله مزحة، ولكنني أحببت أن أجرب الأمر.. فماذا سيخسر شخص عنده خمسة وخمسون عامًا من المخاطرة؟!**

**اترك الآن القلم والورقة وابدأ قراءة التوكيل المخيف... ".**

**كان الكلام مكتوبا بيد مهتزة وفي الظلام، فهناك أخطاء كثيرة وعدم التزام بالسطر فلم يستطع رافي أن يكمل ما في الورقة.**

**أرجع رافي ظهره واستند على الكرسي فاغر الفم وقد اتسعت عيناه.. هل تلك مزحة أراد صاحبها أن يخيف من يمسك بهذا الكتاب.. أم أن الأمر حقيقي.. قفزت إلى ذهنه فكرة ما.. إنه طاهر من وضع تلك الورقة حتى يخيفه وبخاصة أنه كان يحدثه كثيرًا عن الفراعنة ولعناتهم ومقابرهم هل كان الأمر صدفة أم أنه تعمَّد ذلك؟**

**توقف فجأة ثم حدَّث نفسه.. لمَ تلك التكهنات التي لا تغني من الحق شيئًا.. ماذا لو أنني ذهبت إلى تلك الحجرة الخلفية وتحققت من الأمر.**

**تبًا!!**

قلتها أنا.. نعم أنا من يروي لكم القصة.. فلم أكن أعرف أن رافي لديه من الفضول ما يجعله يتحقق من وجود كنز فرعوني بعد منتصف الليل! أغلق رافي الكتاب وتركه على المكتب ثم تناول مصباح الجاز. أخذ يسير إلى نهاية القصر. فتح الباب الخلفي فرأى الحجرة الخلفية التي لم يفكر لحظة في أن يعرف ما بداخلها.

كان المزلاج محطمًا، فقد أكله الصدأ.. فتحه رافي بسهولة ثم دخل الحجرة.. الحجرة بها أثاث محطم وبعض الأشياء القديمة والثياب البالية.

أخرج الورقة من جيبه وقرأها مرة أخرى فوجد ذكرا لفتحة قبو هنا.. أخذ يبحث بعينيه فلم يجد شيئا.. اقترب أكثر من أحد أركان الحجرة وأخذ يحرك الأرضية بقدمه حتى اصطدمت بقفل!

نفض عن تلك المنطقة التراب فإذا هي فتحة القبو.. كان المصباح يتراقص رغم أن الجو قاتم ولا يوجد أثر للهواء.

بلع رافي ريقه ثم حاول أن يفتح باب القبو فلم يعرف، بحث حوله فوجد قطعة حديد قديمة فحاول أن يعالج بها المزلاج إلا أنه لم ينفتح أيضًا فقرر كسره.. رفع قطعة الحديد وهمَّ أن ينزل بها على القفل

**ليكسره قبل أن يسمع صوت أقدام من خلفه فتجمد الدم في عروقه. "لا يوجد عاقل يفتح كنزًا فرعونيًا بعد منتصف الليل.. لو كنت مكانك لانتظرت إلى الصباح".**

**التفت رافي بسرعة فإذا بطاهر يقف خلفه مستندًا على باب الحجرة وعلى وجهه ابتسامة غريبة..**

**-كيف دخلت إلى هنا يا طاهر.. كيف تفعل ذلك بلا استئذان؟**
**-وهل أستأذن من صديقي.. ألسنا أصدقاء يا رافي؟**
**-لقد فعلتها قبل ذلك وكذبت حين قلت لي أن الباب كان مفتوحًا وأنا متأكد أنني أغلقته خلفي.. لماذا تصر على دخول بيتي بغير استئذان.. كيف تبيح لنفسك ذلك.**
**-لو كنت أعلم ان هذا سيغضبك ما فعلته.. أعتذر لك.**

**قالها ببرود مما أثار غضب رافي كثيرًا..**

**-لهجتك تغيرت في الحديث يا طاهر ولم تتغير لهجتك فقط وإنما أيضًا**

**تصرفاتك.. لم تعد طاهر الذي أعرفه.. من أنت بحق الجحيم؟**
**-من أنا.. ألا تعرفني.. أنا طاهر..**

**قالها وهو يقترب ببطء شديد من رافي.. مما جعل رافي يتراجع إلى الوراء.**

**-أرجوك لو سمحت أنا متعب وأريد منك أن تعود إلى الوحدة فأنا سأصعد للنوم الآن.**

**-ولكنني كنت أريد أن أقضي الليلة هنا معك.**

**ابتلع رافي ريقه بصعوبة فقد أحس أن طاهر يتغير وجهه.. لم يكن يصدق ما يراه.. أحس أنه يقف أمام شخص آخر بلا مبالغة.. هل تلك هلوسات من أثر الظلام ومن وحي ما قرأه في المكتبة أم أن طاهر يتحول بالفعل..**

**يتحول!!**

**لم يصدق رافي أنه نطق تلك الكلمة في داخله وأنه وصف ما يراه بتلك الكلمة..**

**هل حقًا هي تعبر عما يراه أمامه..**

**-ما بك يا رافي؟ هل رأيت شيئًا غريبًا فأنت تنظر لي بغرابة وكأنك تراني لأول مرة.**

**لم يعرف رافي بماذا يرد فكل ما يريده الآن أن يصل إلى حجرته ويغلقها على نفسه وأن يخرج هذا الشيء الغريب الذي يقف أمامه من القصر ولا يعود إليه مرة أخرى.**

**-سأخرج يا رافي إن كان هذا يريحك. نطقها ثم استدار ومضى.**

**تنفس رافي الصعداء ثم سار خطوات بسيطة حتى دخل القصر فسمع صوت باب القصر يفتح ثم ينغلق فأخذ نفسًا عميقًا عندما أحس أن طاهر خرج من القصر.**

**عاد إلى الحجرة وأغلقها على أن يعود إليها في وقت آخر ليكمل ما بدأه. ذهب إلى باب القصر ليطمئن أنه مغلق جيدًا.**

**صعد غرفته واستلقى على فراشه وهو يفكر في كل الأحداث التي تمر به.**

**كيف علم طاهر بأمر الكنز ومكانه وكيف دخل إلى القصر بهذه الطريقة وتوجه إلى الحجرة وكأنه لا يسير على أقدامه!!**

**فجأة تذكر الصقر الذي كان يدق على نافذته والقطة السوداء التي تشبه طاهر إلى حد كبير.. إنه يعلم جيدًا أن الفراعنة كانوا يقدسون القطط والصقور.**

**هل للأمر علاقة بالكنز المدفون تحت القصر؟؟**

**برقت عيناه حين تذكر أن القطة السوداء لم تعد تظهر، لقد اختفت تمامًا واستغرب كثيرًا لأنه لم يلاحظ اختفاءها في الأيام الماضية، فأين ذهبت؟**

**ظلت تلك الأسئلة تراوده إلى أن غلبَه النعاس.**

**عندما استيقظ رافي من نومه سارع إلى مكتبته قبل أن يذهب إلى العمل وبدأ يقرأ في ذلك الكتاب القديم.**

**لقد صار مأخوذًا بالكنز المدفون تحت القصر.**

**كان الكتاب يتحدث عن كثير من أخبار الفراعنة وعاداتهم وآلهتهم..**

**فهذا أتون الذي عبده أخناتون وجعله الإله الأوحد ومثلوه على هيئة رأس صقر ثم بعد ذلك على هيئة قرص الشمس بأشعة تنتهي بيد أدمية تمسك بمفتاح الحياة. .**

**و أما هذا الذي على هيئة كلب يربض على قاعدة تمثل واجهة المقبرة وأحيانًا يكون رأس كلب وجسد إنسان فهو أنوبيس حامي وحارس المقبرة.. كان منظره مخيفًا على نحو ما!**

**و الإله "سوكر" الذي يمثل على هيئة رجل برأس صقر هو أحد آلهة قدماء المصريين، وكان إله الموت، كان له دور في طقوس فتح الفم للموتى!**

**انتشرت عبادة سوكر كإله الموت في شمال مصر في منطقة منف، حيث كان المصريون القدامى يدفنون الملوك منذ الأسرة الأولى هناك، وكانت منطقة سقارة هي المخصصة لدفن فراعنة مصر في ذلك العصر الأول، وربما يحمل اسم المنطقة "سقارة" من اسم "سوكر" أو "سوقر".**

**في تلك اللحظة، تذكر رافي الصقر الذي كان يدق على نافذته في تلك الليلة وكيف كان يحاول جاهدًا كسر النافذة واقتحام الغرفة!!**

**استرعى انتباهه إله الحب والخصوبة المسمى "باستيت" الذي كان على هيئة رأس قِط وجسم امرأة، كان المصريون يعاقبون كل من يؤذي قِطًا، بعقوبة تصل إلى حد الموت وعندما يموت قط كانوا يحلقون حواجبهم علامة على الحداد ويحولون القطط الميتة إلى مومياوات.**

**كان رافي مستمتعًا بالقراءة واستغرقته صفحات الكتاب فلم يشعر أنه تأخَّر عن عمله بنحو نصف ساعة فقام وارتدى بنطاله الأزرق وقميصه بسرعة وانطلق إلى الوحدة الصحية.**

* * *

# (٩)

حين أذنت شمس المغيب بالزوال وانطلقت أسراب الطيور إلى أعشاشها تنعم بالدفء والراحة أُسدِلَ الستار على تلك القرية الهادئة وبدأ الفلاحون يعودون بالماشية بعد يوم طويل من العمل الشاق في الحقول لينعموا بجلسة هانئة مع عائلاتهم يجمعهم عشاء بسيط وجلسة سمر صيفية.

في ذلك الوقت وقرص الشمس يدنو من العالم الآخر كان الحاج مهدى يراقبه في سكون تام، يستند ظهره إلى شجرة التوت المطلة على جرف الترعة.

كانت الأفكار تتصارع بداخله، يتذكر كيف كان يجلس أمام داره حين فتح الباب الشيخ عبد اللطيف وهو ينوي الذهاب إلى سليم باشا، وكيف كان يبدو عليه الاهتمام الشديد!

**ولولا أنه سأله وأغلظ عليه في السؤال ما أجابه ولا قال له إلى أين يذهب وماذا سيفعل.**

**وقتها ما كان للحاج مهدي أن يعلم حقيقة الكنز المدفون تحت القصر.**

**إنه يتألم لموت أخيه وكان بوده لو أبلغ النقطة وأخذ بحقه من الإقطاعي ابن الكبراء سليم لولا أن الأخير مات فلم يكن للبلاغ أي أهمية.**

**الآن فقد حان الوقت ليأخذ بثأر أخيه.. إن هذا الكنز الذي مات أخوه من أجله هو أحق الناس به وليس هذا المستأجر الجديد المسمى رافي ولا حتى صديقه الساخر طاهر الذي لم يرتح إليه قلب الحاج مهدي طرفة عين.. وبخاصة بعد زيارته.**

**لقد أحس بأنه يطمع في الكنز لنفسه وأنه ينوي الاستيلاء عليه متى حانت له الفرصة.**

**"لا"..**

نطقها الحاج مهدي بلا إرادة وبرقت عينه.. كان مصممًا على أن يحصل وحده على الكنز..

إنها فرصته الذهبية... كنز فرعوني فماذا يريد أكثر من ذلك حتى يحقق مطامعه ويعلو فوق أهل القرية ويشتري الأراضي ويصير من الملاك الكبار ويبني دارًا كبيرة أو ربما قصرًا بحديقة ومزارع كبيرة من الماشية وتصير له الكلمة العليا بين أقرانه المنافسين له في الوجاهة والمال.

قرر بين نفسه أن يتسلل إلى القصر ليحصل على الكنز، لكن كيف.. فهو لا يعرف مكانه.. إن الطبيب طاهر لربما كان يستطيع مساعدته فهو يدخل ويخرج إلى القصر بحرية تامة أما هو فلا يستطيع الدخول ومعرفة مكان الكنز إلا متسللاً..

إن كل ما يعلمه أن ثمة كنز مدفون تحت القصر فهل توصَّل طاهر لمعرفة مكانه؟؟.. هل توصَّل رافي؟؟

لابد من أن يجد وسيلة تقربه من هدفه بأقصى سرعة!

* * *

# (١٠)

في الساعة الواحدة ليلاً بعد منتصف الليل كانت الوحدة الصحية محاصرة بآلاف الأصوات المختلطة من نقيق الضفادع وأصوات الصراصير.

أمام الوحدة وحولها هناك حديقة تتبعثر فيها بعض الشجيرات والحشائش وكثير من البوص.

في مقدمة الوحدة هناك طرقة واسعة يتم فيها استقبال المرضى من أهل القرية، على يسار الطرقة هناك حجرة للكشف، وفي نهاية الطرقة تجد حجرتين للأطباء المقيمين في الوحدة هما رافي وطاهر.

أما رافي فقد استأجر القصر وعاش فيه، أما طاهر فهو يسكن في إحدى هاتين الحجرتين والحجرة الأخرى يستريح فيها رافي حين يناوب ليلاً في الوحدة.

يتبقى الممرضة (عطيات) ممرضة مغتربة تقيم هنا بصفة دائمة.. كبيرة في السن ولم تتزوج لها حجرة منفصلة في أول الطرقة.

التفت الحشرات من كل نوع حول ضوء (الكلوب) الموجود في الطرقة وهو فانوس زجاجي بداخله بنورة تتوهج لتضيء المكان.

لم تكن الكهرباء وصلت إلى القرى في ذلك الوقت. كانت الوحدة تتم إضاءتها ليلاً بتلك (الكلوبات).

إلا أن رافي الذي كانت مناوبته في تلك الليلة لم يزعجه هذا الحصار قط – نقيق الضفادع وأصوات الصراصير – وإنما أزعجه بشدة وأقضَّ مضجعه تلك الأنياب الجاهزة للفتك بعروقه مصحوبة بطنين رهيب.

هذا البعوض لم يجد رافي له حلاً سوى أن يقوم من على فراشه في المسكن الخاص بالوحدة ويذهب إلى حجرة الكشف ليجلس على المكتب ويقرأ في كتابه الذي جلبه معه.. الكتاب الخاص بالسحر والفراعنة.

لم يكن هناك أحد في الوحدة إلا رافي والممرضة عطيات التي

**استأذنته لتغط في نوم عميق غير عابئة بالبعوض الذي اعتادت عليه.**

**لم يكن طاهر موجودًا في الوحدة تلك الليلة.. لقد غادر إلى القاهرة صباحًا، وقال إن السبب مفاجىء على أن يعود في مساء الغد.**

**كان رافي جالسًا على مكتبه في حجرة الكشف منهمكًا في قراءة كتابه.. كان قد أكمل بعض الفصول منه والتي كانت تحكي عن أخبار الفراعنة وملوكهم وعن السحر والروحانيات بصورة عامة.**

**لكن الفصل الذي يقرأ فيه رافي الآن يتحدث عن الكنوز وكيفية استخراجها من الأرض عن طريق الاستعانة بالجن وكيفية توقي شرورهم وتجنب لعنات الفراعنة.**

**استرعى انتباهه فقرة من الكتاب فأخذ يقرأها بصوت ضعيف..**

**"كان الفراعنة أولو قوة وبأس شديد وكانوا أرباب السحر وأهله، لذلك يا من تفتش خلفهم وتنبش قبورهم.. الحذر الحذر.. ولا ينفع حذر من قدر.. وأنا بعون الله أعطيك المفتاح بقدرة الفتَّاح، ولكن عليك أولاً أن تعلم كيف تغلق الأبواب قبل أن تتعلم كيف تفتحها..**

**إن الأبواب إن فُتِحَت، خرجت الأبالسة والشياطين وتحررت عفاريت سجين وعاثت في الأرض فسادًا ولن تغلبها وإن جمعت قوة وعتادًا.. فإذا خرج الجان فتك بالسجَّان وحرر الأقران.. فإنهم محبوسون لخدمة الفراعنة وكنوزهم يحرسونها من عبث العابثين وكيد الكائدين.. الحذر الحذر أن يخرج أحدهم وإلا فلن يهدأ حتى يحرر أقرانه ويسكنون المكان ولا يتركون أحدًا يقترب منه إلا فتكوا به.. فعليك بعد أن تخرج الكنز بالطريقة التي سألتلوها عليك أن تغلقه بقفل منقوش عليه هذا الذكر (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق).. فإنه يكفيك شرورهم ويحبس خدامهم..".**

**توقف رافي عن القراءة عند تلك النقطة حين وصل إلى سمعه صوت في الخارج، أحس بوقع أقدام تسير ببطء.**

**هل يقوم ويأخذ (الكلوب) ليرى ما بالخارج أم يكمل قراءته في الكتاب!**
**أخذ ينصت حتى يسمع الصوت مرة أخرى.. لا شيء..**

**اختار أن يكمل قراءته فلا داعي للخروج في هذا الظلام طالما أن الصوت توقف.**

عاد إلى الصفحة التي توقف عندها وبدأ يكمل قراءته بصوت منخفض:

"عليك أن تتأكد من غلق القفل جيدًا وأن يكون الذِّكر عليه منقوشًا، فإن الأمور تجري بمقادير ولا يعلمها إلا العلي القدير، فإن الجن لا يفتح قفلاً مغلقًا عليه الذِّكر المنصوص فاكتبه أثابك الله غير منقوص، ولا تقع فيما يقع فيه العوام عندما لا يغلقون القفل بإحكام فإنك إن أبطأت في غلقه لا تأمن أن يتحرر أحد الجان ليحوم في المكان ويسعى أن يحرر أقرانه ويكسر القفل المنقوش ولا يستطيع أن يفعل ذلك بذاته لأن الذِّكر يحرقه وإنما يساعده أحدٌ من البشر في ذلك..".

عاد الصوت من جديد.. هذه المرة بجوار نافذة المكتب الذي يجلس فيه رافي.. من الواضح أنها أصوات أقدام تحوم حول المكان.. من يريد الاقتراب من الوحدة في الساعة الثانية صباحًا؟

عمد رافي إلى الكلوب وأطفأه.. كان يريد الحجرة مظلمة.. اقترب من النافذة لينصت إلى الصوت القادم من ورائها.. كان هناك كسرٌ في النافذة.. أراد أن ينظر من خلاله في تلك الليلة المقمرة عساه يرى أي

**شيء مريب في الخارج.. اقترب من الجزء المكسور وبدأ ينظر من خلاله لولا أنه لاحظ أمرًا غريبًا..**

**هناك شيء يلمع من خلال ذلك الكسر..**

**إنهما عينان!**

**ارتدَّ رافي إلى الوراء في فزع شديد واصطدم بالمكتب فوقع على الأرض.. نهض بسرعة ثم عمد إلى الكلوب يحاول إشعاله.. في تلك اللحظة انفتحت النافذة بقوة محدثة صوتًا عنيفًا، فأسرع رافي يجر أقدامه التي التصقت بالأرض من فرط الفزع وأمسك مقبض الباب.. بصعوبة بالغة فتحه..**

**"عطيات.. عطيات".**

**اتجه إلى غرفتها ودق الباب بعنف.. إنه يعرف أن عطيات لا تسمع جيدًا إلا أنه نادى بصوتٍ عالٍ.. يكاد يحطم الباب بيده..**

**-ماذا حدث يا دكتور؟**

**قالتها عطيات بعينين ناعستين وهي تفركها بيديها حتى تكاد تخلعها من محجرها.**

**-لا أدري هناك من يحاول اقتحام الوحدة أو سرقتها.**

**اتسعت عينا عطيات من الدهشة وقالت:**

**-يا خبر أبيض، كيف يا دكتور أنا لم أسمع شيئًا؟**

**-لقد فتح نافذة حجرة الكشف بعد أن اكتشفته وهو يسترق النظر إلى الحجرة.**

**-لحظات يا دكتور سأحضر الكلوب من الطرقة.**

**أحضرت الكلوب وسارت مع رافي إلى حجرة الكشف.. أوقفها رافي حتى يتأكد من أنه لا أحد في الحجرة.. فلم يشعر بأي حركة في الداخل.. أشار إليها بالتقدم معه فوجد باب الحجرة مغلقًا.**

أدار المقبض ببطء وقلبه يدق بعنف.. فتح الباب.. كانت الغرفة مظلمة.. دخل رافي إلى الحجرة تتبعه الممرضة بالكلوب..

نظر الاثنان إلى الحجرة وكانت مفاجأة رهيبة!! كانت النافذة مغلقة ولم يكن هناك أي أثر لاقتحام الغرفة!

نظرت عطيات إلى رافي..

-النافذة مغلقة يا دكتور.

-نعم وماذا في ذلك.. لابد أنه أغلقها عندما خرج من الغرفة.
-لكنني لم أسمع أي صوت غريب يا دكتور.. هل أنت متأكد أن النافذة انفتحت؟

نظر إليها بغضب وهو لا يتحمل أن تشكك في قدراته العقلية..

-نعم أنا متأكد يا عطيات.. وهل أنا مجنون!

-لا أقصد يا حضرة الدكتور.. ولكن لو أحببت أن نتخذ إجراءً فعلينا أن نبلغ العمدة حتى يرسل إلى النقطة.

**-غدًا في الصباح سأذهب إلى العمدة وأخبره بما حدث.. ولكن الآن سوف أخرج وأتأكد أن اللص عاد من حيث أتى.. عودي للنوم يا عطيات.**

* * *

# (١١)

**في الصباح الباكر خرج رافي من الوحدة متوجهًا إلى بيت العمدة..**

**استقبله شيخ الخفر بالترحاب:**

**-اتفضل يا حضرة الدكتور.. يا أهلاً وسهلاً.. حصلت البركة.**
**-أهلاً يا شيخ الخفر.. لو سمحت كنت أريد مقابلة العمدة في أمر عاجل.**
**-العمدة في الدار يتناول طعامه.. اتفضل يا حضرة الدكتور.. اتفضل.**

**دخل رافي من باب البيت.. أمامه ساحة واسعة يمرح فيها البط والأوز والدجاج يسمى صحن البيت، يتوسط صحن البيت نخلة عملاقة.. وهناك بالجوار فرن لطهو الطعام وصنع الخبز..**

**هناك ممر جانبي دخل فيه رافي خلف شيخ الخفر ليجد حجرة**

متوسطة يجلس فيها العمدة على الأرض وأمامه وضع طعام الفطور.. فلما رأى العمدة رافي قام واقفًا وسلم عليه..

-يا أهلاً وسهلاً يا حضرة الدكتور رافي شرفتنا ونورتنا وكتاب الله العظيم.

رجل يبلغ من العمر تقريبًا الستين.. رأسه كبيرة وعينه ضخمة تكاد تقع من مكانها.. أصلع الرأس إلا من بعض الشعر الخفيف الذي يتوزع على جوانب رأسه من أسفل.. لا شك أن بطنه ستنفجر يومًا من الأيام فتلك العضلات لن تتماسك طويلاً وهي تحاصر أطنان الدهون المتكومة حول بطنه!

-أهلاً يا حضرة العمدة.. كيف أحوالك؟

-الحمد لله في نعمة وعافية.. والله لا بد أن تجلس وتأكل معي.. بنت يا فاطمة.. أحضري(الفطير المشلتت) وطبقًا آخر من القشدة بسرعة... لا تحضري عسلاً.. العسل موجود.. انزل يا دكتور اجلس على الأرض بجواري هنا..

كان الطعام أمامه عبارة عن كميات كبيرة من الفطير والقشدة والعسل

الأبيض وقطع (المش) والجبن القريش وعدد كبير من البيض المسلوق ومجموعة متنوعة من الخضروات والطماطم.

اعتذر رافي عن تناول الطعام ثم جلس قريبًا من العمدة.

أثناء تناوله الفطور أخذ العمدة يتحدث عن القرية وأخبارها ويشكو الزمان وتغير الحال عن ذي قبل.

-كنا قديمًا يا حضر الدكتور يحترم بعضنا بعضًا، وكان الصغير لا يجرؤ على التحدث بحضور الكبير.. أما الآن فإنك ترى العجب العجاب.. الشباب لا يقيمون وزنًا لوجهاء القرية وكأنما يريدون أن يناطحوهم ويصلوا إلى مكانتهم بغير جهد أو عرق!

كان رافي يسمع كلام العمدة إلا أنه كان مشغولاً بالأمر الذي جاء من أجله فما إن انتهى العمدة من فطوره حتى قال له:

-يا حضرة العمدة لقد جئت إليك لأبلغ عن اقتحام الوحدة الصحية.

فغر العمدة فمه..

-متى حدث هذا؟؟

-البارحة ليلاً يا عمدة.. كنت جالسًا في حجرة الكشف عندما حاول أحدهم اقتحام غرفتي.

قصَّ رافي القصة كاملة على مسامع العمدة الذي استغرب بشدة..

-كيف يحدث هذا في القرية.. لابد أنه لص من خارج القرية.. لا أحد يجرؤ أن يفعل هذا في البلد.

-لا أعلم يا عمدة، هذه وظيفتك أن تبلغ النقطة ويقومون بالتحقيق في الأمر.. أما أنا فأطلب منك طلبًا.. أن ترسل خفيرًا على الوحدة الصحية يراقبها في الظهيرة وبعد المغرب إلى الصباح.
-هذا مقدور عليه يا دكتور.. ولكنني لا أستطيع أن أبلغ النقطة!
-لماذا يا عمدة؟

-لأنك تقول أن شيئًا لم يُسرَق ولم يتأذَّ أحد فلربما كان أحدهم يعبث معك أو أن الريح مثلاً هي من فتحت النافذة وأنا لا أريد أن أُحدِث ضجة في بلدتي بلا داعٍ.. هل تريد أن تعلم النقطة أني لا أستطيع السيطرة على البلدة وتحقيق الأمان فيها؟

-لا طبعًا يا عمدة، ولكن أنا متأكد أن شخصًا هو من حاول اقتحام الوحدة ويمكن أن يعود مرة أخرى!

-لا لن يعود، سأرسل أحد الخفراء ليقوم بحراسة الوحدة وتأكد لن يقترب أحد مرة أخرى هذا إن كان هناك من يريد اقتحام الوحدة بالفعل.. ولكن يا دكتور لماذا يرغب أحدهم في اقتحام حجرة

**الكشف؟**

**-لا أدري، لعله يريد أن يسرق أي شيء من محتويات الحجرة.**

**-وما هي محتويات الحجرة التي يمكن أن يسرقها.**

**-لعله يريد سرقة مثلاً أدوية أو أدوات الكشف أو أنه يتخيل أن هناك أموالاً في الحجرة.. لا أعلم يا عمدة تحديدًا.**

**-يا حضرة الدكتور لو كان لصًا فإنه سيسعى لسرقة المواشي أو الأراضي، ولكن لماذا سيسرق الوحدة.. هل تحتفظ أنت بشيء ثمين؟**

**-أنا.. لا أبدًا.. ممتلكاتي الخاصة كلها في القصر ولا أحضر شيئًا معى في الوحدة..**

**قفز قلب رافي من مكانه حين تذكر شيئًا ما...**

**-الكتاااب!!**

**-ماذا يا حضرة الدكتور.. كتاب ماذا؟؟**

**قفز رافي من مكانه:**

**-أستأذنك يا عمدة لابد أن أغادر الآن.**

**-ماذا حدث يا دكتور.. قلقتنا؟**

**اتجه رافي إلى الباب مسرعًا..**

**-سأقول لك فيما بعد يا عمدة.. سأقول لك.. مع السلامة.**

**كاد رافي أن يركض في الطريق إلى الوحدة إلا أنه حافظ على اتزانه قليلاً.. لقد نسى البارحة أن الكتاب موضوع على المكتب حين فتحت النافذة ولم يلقِ له بالاً بعد ذلك فقد كان مشغولاً بما حدث له.**

**دخل رافي الوحدة.. اتجه إلى حجرة الكشف.. دخل من الباب ثم نظر إلى المكتب.. لم يجد شيئًا.**

**"عطيات عطيات..".**

**-نعم يا دكتور..**

**-أين الكتاب؟**

**-كتاب ماذا ؟**

**-الكتاب الذي تركته على مكتبي بعد أن ذهبت إلى الفراش ونمت.**
**-لا أعلم عنه شيئًا يا دكتور.. ربما تكون أخذته معك إلى الحجرة التي نمت فيها.**

**تركها رافي وذهب إلى حجرة السكن فتحها وأخذ يبحث عن الكتاب فلم يعثر له على أثر.**

**أين الكتاب؟؟ هل يمكن أن يكون قد سُرِقَ بالفعل!!**

**ابتلع رافي ريقه وأخذ يتحسس شعر رأسه في عنف وضيق... تذكر الورقات القديمة التي يتضمنها الكتاب بين جنباته والتي تعود لكل من سليم باشا الصاوي وأبيه شريف الصاوي.. تلك الورقات التي تحكي اكتشافهما للكنز المدفون تحت القصر ومحاولاتهما العثور عليه... كما أنها تبين مكانه وذلك عندما حكى سليم ما حدث له مع صديقه عزت أفندي والشيخ طارد الجان عبد اللطيف!!**

**ضرب مقدمة رأسه بيده وأحس أنه خسر شيئًا قيِّما لا يستطيع تعويضه.. ولكن من هذا الذي يسعى وراء كتاب قديم.. هل من سرق هذا**

**الكتاب كان ينوي فعلاً سرقته أم أنه كان يريد سرقة أي شيء يجده ووجد هذا الكتاب في طريقه فأخذه؟؟**

**ولكن من حاول اقتحام الحجرة لم يسرق شيئًا آخر وهذا دليل قوي على أنه كان يسعى خلف هذا الكتاب.. إذن هو شخص يعرف قيمته.. إنه شخص يحاول العثور على الكنز بلاشك.. ولكن من هو ؟؟**

**"أين طاهر ؟؟"**

**نطقها رافي بصوت منخفض..**

**"أين طاهر".**

**هذه المرة كانت بصوت عال فجاءته الممرضة وقالت له:**

**-هل تسأل عن شيء يا دكتور؟**

**-نعم، أسأل أين طاهر؟**

**-أخبرتك أمس يا دكتور أنه ذهب إلى القاهرة في أمر عاجل وقال أنه سيأتي مساء اليوم.**

**-وماهذا السبب العاجل.. هل أخبر أحدًا به؟**

**-لا يا دكتور لم يخبر أحدًا.. هل هناك أمر ما.. تستطيع أن تعود إلى القصر يا دكتور وأنا سأقوم مكانك هنا حتى يعود الدكتور طاهر فأنت مرهق من البارحة.**

**-شكرًا يا عطيات.. سأجلس قليلاً ثم أغادر الوحدة.**

**كان رافي متعبًا من الأحداث الماضية ولم ينم ليلة البارحة فقرر أن يغادر الوحدة إلى القصر حتى يستريح تلك الليلة على أن يأتي صباحًا وإن حدث أى شيء سوف يستدعونه.. انتظر حتى أتى الخفير الذي كلفه العمدة بحراسة الوحدة ثم انطلق عائدًا إلى القصر.**

**في حوالي الحادية عشرة ليلاً دق باب القصر.. نزل رافي من حجرته ثم فتح باب القصر ليجد الخفير أمامه يخبره أن هناك حالات مرضية في الوحدة وأن طاهر لم يأتِ بعد وعليه أن يحل الليلة مكانه.. هكذا أخبرته عطيات الممرضة.. ظهر على رافي الانزعاج قليلاً ثم ارتدى ملابسه وانطلق مع الخفير بعد أن أغلق باب القصر!**

*** * ***

# (١٢)

**قبل حوالي سبع ساعات..**

**عاد طاهر من القاهرة عصرًا وجد الخفير يجلس أمام الوحدة الصحية استغرب من ذلك.. فسأله عن سر وجوده هنا فأخبره بأن هناك من حاول اقتحام الوحدة ليلاً، وأن الطبيب رافي طلب من العمدة أن يحضر خفيرًا لكي يحرسها.**

**بحث طاهر عن عطيات حتى يعلم منها ما حدث، أخبرته عطيات بالقصة كاملة لكنها صرَّحت لطاهر بما كانت تخفيه في أعماقها من أن رافي كان يبدو غريبًا وأنها عندما دخلت الحجرة بعد اقتحامها لم تجد أي أثر لهذا الاقتحام، فالنافذة كانت مغلقة، ولم يكن هناك أي شيء ملق على أرضية الغرفة يدل على دخول أحدهم إلى المكان.**

**سألها طاهر إن كان شيئًا قد تمت سرقته فأخبرته بأن رافي سألها عن**

كتاب ما إن كانت قد رأته وأنه كان مهتمًا بذلك الكتاب ويدعي أنه سُرق!

اندهش طاهر كثيرًا فهو يعلم نوع الكتاب الذي يحزن رافي من أجله، لابد أنه ذاك الذي يتحدث عن السحر وكنوز الفراعنة الذي وجده في مكتبة القصر بينما كان يتصفح فيها.

ولكن لماذا يبدو رافي مشغولاً بهذا الكتاب القديم؟! هل يفكر حقًا في فتح المقبرة وسرقة الكنز ؟!

هنا تبادر لذهنه احتمال رهيب، ماذا لو أن رافي استأجر القصر خصيصًا ليقوم بذلك!!

أحس طاهر بفضول شديد لمعرفة تفاصيل أكثر عن رافي وعائلته والمكان الذي جاء منه.. قرر أن يذهب إلى جمعة الموظف قبل أن يغادر الوحدة ويطلب منه ملف رافي الذي يحتوى على أوراقه الشخصية ومن ثم يحصل على المعلومات كاملة عنه.

بحث عن جمعة فوجده يجلس في الظل مع الخفير يشربان (الشيشة)

نادى عليه طاهر وأخبره أنه يريد ملف رافي في أمر غاية في الأهمية يخص مديرية الصحة.. أخذ جمعة يبحث عن الملف فلم يجده!

-أين الملف؟ أنا أتذكر جيدًا أني وضعته هاهنا.

-فأين ذهب إذن؟ هل تتذكر أنك أخذته من رافي فعلاً؟

-أعتقد ذلك، فلابد أن أكون قد أخذته منه لكنني الآن لا أعرف أين ذهب.. إنها مسئولية قانونية يا حضرة الطبيب، وكل ما أريده منك أن تنتظر حتى أجده ولا تخبر أحدًا أنه مفقود.

-لا تقلق يا جمعة.. لا تقلق.

إذن لا يوجد ملف شخصي لرافي، فأين ذهب؟؟ وهل تقدم به رافي من الأصل؟

انهمرت على طاهر في تلك اللحظة أفكار خطيرة.. رافي هو شخص جاء من المدينة ولا يعرف أحدٌ عنه شيئًا لم يتحدث قط عن عائلته أو مكان نشأته، ينشغل في أغلب أوقاته بهذا الكتاب القديم، يقوم باستئجار القصر بقيمة مالية كبيرة ولا ينام في سكن الوحدة المجاني.. لماذا ؟!

لا توجد أي أوراق تثبت شخصيته أو حتى كونه طبيبًا سوى بعض التشخيصات الطبية التي يستطيع حلَّاق الصحة القيام بها... ماذا لو كان رافي أحد اللصوص الباحثين عن الكنوز الفرعونية ويريد سرقة الشيء المدفون أسفل القصر الذي قام باستئجاره على أنه طبيب!

تدفق الإدرينالين في عروق طاهر بشدة عندما خطرت تلك الفكرة برأسه. أحس أنه أن عليه مسئولية خطيرة في إيقاف رافي ومنعه قبل أن يقوم بفتح المقبرة؛ حتى لا تنفتح أبواب الجحيم على مصراعيها ويستحيل إغلاقها فيما بعد.

لكن من سرق الكتاب إذن؟؟

من يهمه هذا الكنز ويسعى خلفه!!

لا بد من إيقاف هذا العابث أيضًا حتى لا يقوم بفتح المقبرة!

كانت أمام طاهر مهمة كبيرة ولابد من إتمامها على أكمل وجه وبسرعة، لكن كان عليه الآن أن ينهي أمرًا غاية في الخطورة قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة.

* * *

# (١٣)

كان الظلام حالك السواد في تلك الليلة حين جلس رجلان وسط حقول الذرة يراقبان القصر.

كان الحاج مهدي يتلفت حوله في قلق بالغ؛ خوفًا من أن يراه أحدهم فيظن أنه ينوي سرقة القصر مع هذا الطبيب الشاب طاهر، ولكن الحقيقة هي أنه جاء تلبيةً لطلب طاهر حين أتى إليه في بيته ليخبره بالقصة كاملة ويعرض عليه أن يساعده في الكشف عن شخصية رافي.

لم يكن هذا ما يريده طاهر وفقط بل كان يهدف أيضًا إلى الاطمئنان من أن الحاج مهدي لن يفتح المقبرة، فهو يريد أن يبقيه قريبًا من عينيه، وأن يكون الكتاب في يدٍ أمينة وليس في يدِ هذا الطامع الذي لا يدرك خطورة فتح المقبرة!

إن الحاج مهدي هو الذي سرق الكتاب فقد كان يراقب رافي وقرر اقتحام الوحدة في تلك الليلة لكنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة لذا فإنه كان على وشك الاستعانة بأحدهم ليقرأ ما فيه ويعلم مكان الكنز.. إلا أن طاهر أسرع إليه ولحقه قبل أن يفعل ذلك وأوضح له خطورة الأمر فأبدى الحج مهدى استعداده الكامل لمساعدة طاهر.

كانت الخطة أن يقتحم طاهر القصر ليلاً عند انشغال رافي في نوبته الليلية في الوحدة.. لذا قرر طاهر الاختفاء تمامًا عن الوحدة في تلك الليلة حتى يتم استدعاء رافي ليحل مكانه ومن ثم يستطيع اقتحام القصر عند خروج رافي منه.

كان ينوي التفتيش عن أي أثر أو أوراق تكشف هويته.. على أن يراقب الحاج مهدى القصر من الخارج مختفيًا في حقل الذرة وفي حالة اقتراب أحدهم أو وصول رافي، عليه أن يطلق عواءً يشبه عواء الذئب حتى يستطيع طاهر الهرب بسرعة من أحد منافذ القصر.

أطلق الحاج مهدي صرخة مكتومة حين رأى شبحًا يقترب من القصر في حوالى الحادية عشرة.. لكن طاهر هدأه قائلاً إن هذا هو الخفير وأنه إنما أتى ليأخذ رافي إلى الوحدة.

كانت الخطة تسير بإحكام.. بعد قليل سيخرج رافي وينطلق إلى الوحدة ثم يقوم طاهر ليقتحم القصر وينفذ مهمته في العثور على أي دليل يوضح حقيقة رافي بينما ينتظر الحاج مهدي في الخارج ليراقب المكان.

انطلق رافي مع الخفير ثم ابتعدا عن القصر حتى اختفيا تمامًا.. هنا قام طاهر من مكانه والتفت يمينًا ويسارًا فلم يجد أحدًا فانطلق إلى القصر..

اقترب من نافذة المطبخ التي كان يعلم جيدًا أن رافي ينسى إغلاقها دومًا.
وضع أقدامه على بعض البروز في الجدار ثم صعد عليها ليحشر جسده من خلال النافذة الصغيرة.

نجح طاهر في العبور منها بصعوبة بالغة إلا أنه جرح أحد أصابعه..

استقر على أرضية المطبخ ثم بحث عن ( مصباح الجاز) حتى وجده.. أخرج أعواد الثقاب من جيبه ثم قام بإشعالها.. أخذ يبحث عن قماشة صغيرة يضمد بها جرحه.

كان المطبخ أشبه بكهوف الحيوانات الضارية تفوح منه رائحة عفنة كما أنه لم يكن هناك أثرٌ لأي طعام أو شراب حتى أكياس الشاي والسكر كانت خالية إلا من تلك الخنافس والصراصير التي اتخذتها مخبأ لها..

كانت الأواني التي أكلَ فيها طاهر في زياراته لرافي ملقاة على الأرض ويبدو عليها أن الماء لم يمسها بل لم توضع على النار ولم يتم طهو الطعام بها أبدًا منذ آخر يوم لطاهر في هذا البيت!

هنا تذكر طاهر أول مرة يأتي فيها إلى القصر حين أعدت سعدية الأرز والبط السوداني وجلس مع رافي يتناولان الطعام.. تذكر كيف أن رافي لم يأكل إلا قليلاً من الأرز ثم تقيأه بعد ذلك واعتذر عن تناوُل الشاي لأن معدته ملتهبة!

حاول طاهر أن يتذكر رافي وهو يأكل أي شيء أو حتى يشرب الماء في حرارة الصيف القاتلة لكنه لم يتذكر أنه فعل ذلك ولو مرة واحدة في الوحدة أو أثناء زيارته في القصر.. هذا المطبخ يدل أنه لم يتم فيه عملية طبخ واحدة منذ أشهر.. إذن فكيف يعيش هذا الشيء الغامض المسمى رافي!

أخذ المصباح ثم قرر أن يصعد إلى الطابق الثاني.. بدأ يصعد درجات السلم الخشبي وعند منتصف السلم سمع صوتًا بالأسفل.. استدار خلفه فلم يجد شيئًا!

أخذ ضوء المصباح يتراقص داخل الزجاج.. كان هذا غريبًا، كان يبدو وكأن هناك رياح عاتية تتسبب في تراقص اللهب داخل المصباح.. يبدو أن رافي نسي غلْق إحدى النوافذ في الطابق السفلي.. كان على طاهر أن يتأكد من غلقها.. توجه إلى حجرة المكتبة أولاً..

بينما هو يفتح الباب سمع ضجيجًا بداخل الحجرة وكأن مدينة بأكملها تسكن داخلها.. كانت أصوات مختلطة تموج بها الحجرة كالتي تسمعها في شوارع مدينة مزدحمة.. أصوات أناس يتحدثون بلغات مختلفة لم يفهم منها شيئًا.

كان الأمر مرعبًا حتى إن المصباح كاد أن يقع من يده. تراجع إلى الوراء وعلى وجهه أمارات الفزع بيد أنه تماسك قليلاً وأحس أن كل ذلك إنما هو تخيلات محضة..

كان الباب شِبه مفتوح، فدفعه ببطء.. كانت الحجرة هادئة تمامًا

فأحس أنه كان واهمًا... تحرك بخطوات بطيئة إلى موضع النافذة وأزاح الستار عنها فإذا النافذة مغلقة بإحكام.. أرجع الستار كما هو ثم استدار عائدًا إلى الباب.

اقترب من الباب ثم بدأ يمد يده ليفتحه فانفتحت من ورائه النافذة مرة واحدة وكأنها انفجرت.. سمع صوت زجاج النافذة يتكسر..

كانت الريح التي تأتي من النافذة المتكسرة يهز الستار بعنف.. ذهب طاهر وأزاح الستار إلا أنه تفاجأ أن النافذة ما زالت مغلقة!!

"ما هذا الذي يحدث"

نطقها طاهر وهو يقف كالصنم أمام النافذة المغلقة بإحكام!

أخذ يفرك عينيه وهو لا يصدق ما يحدث أمامه.. خرج من المكتبة.. ثم وقف حائرًا في الصالة يفكر فيما حدث..

فجأة التقطت أذناه صوتًا ينبعث من حجرة الصالون بجواره.. اقترب من الحجرة فأخذ ينصت فإذا هو لحن يبدو كموسيقى شهرزاد للمؤلف "ريمسكي كورساكوف"..

كانت الموسيقى هادئة جدًّا وخلابة حتى إن طاهر فقدَ كل الخوف الذي سببته له حجرة المكتبة.. أخذ ينصت إليها من الخارج ثم قرر أن يفتح الباب.. سكت كل شيء فجأة مثلما حدث في الغرفة الأخرى..

أغلق الباب خلفه ثم توجه إلى النافذة ليتأكد من مصدر الصوت، وقبل أن يزيح الستار انطلقت الموسيقى مرة أخرى.. يبدو أنها كانت تنبعثُ من مكان واحد.. أخذ رافي يلقي بسمعه ويترصد مصدر الموسيقى البديعة.. فإذا الصوت يأتي من الأريكة.. توجه إليها وكلما اقترب منها زاد الصوت وارتفع.. وزادت نعومته.. توجه بالمصباح نحو الأريكة فكأنها تهتز وترقص مع أصوات الموسيقى.. لم يتأكد طاهر مما يراه.. هل هذا فتى وفتاة حقًا.. يرقصان في روعة منقطعة النظير ويتمايلان كأغصان ورد الربيع في المساء.. كانا مرسومين على الأريكة لكن طاهر أحس أنهما ينبعثان من سطح الأريكة ويطيران سويًّا في نعومة وانسيابية في فضاء الحجرة.. كان الفتى مائلاً للسمرة أسود الشعر والفتاة خمرية اللون أشبه بالأميرة الفرعونية (نفرت) زوجة الأمير (رع حتب) على شعرها تاج من الزهر المضيء.. كانا مضيئين في ظلمة الحجرة.. طاهر ينظر مسحورًا بهذا الذي يراه.. هائمًا في رقصاتهما الرائعة.. كان مستغربًا لماذا لا يخاف.. وكيف يخاف من تلك البهجة التي يراها أمامه والموسيقى العذبة التي تتخلل جوانحه وتنبعث من أطرافه!

**يا الله.. ما هذا الجمال.. كم هما رائعان.. كم هي رائعة تلك الأجنحة الرقيقة.. لو كان هذا حلم فأنا لا أريد الاستيقاظ!**

**فجأة.. اضطرب رقص الفتى والفتاة وارتدا مذعورين إلى جدار الأريكة وكأن شيئًا لم يكن!**

**انفتحت النافذة على مصراعيها مرة واحدة وانبعث منها صوت الزجاج المتكسر.. ارتعدت أوصال طاهر وهو يرى الستار يهتز.. ذهب إلى النافذة بخطوات مضطربة..**

**أزاح الستار وكأنه ينتظر أن النافذة لم تنفتح أصلاً ولم يتحطم الزجاج.. لكنه وجد أمرًا غريبًا.. لقد كان هناك جدار ولم تكن ثمة نافذة!**

**كاد طاهر أن يجن.. ماهذا الذي يحدث في القصر.. هذا البيت مسكون!**

**استدار ليخرج من الحجرة وبدأ يفتح الباب عندها سمع الموسيقى**

تنبعث من الأريكة من جديد، وبدأ الفتى والفتاة يمارسان رقصاتهما مرة أخرى بنعومة وسحر خلاب!

صرخ طاهر من الخوف.. أحس أنه على حافة الجنون.. ماذا يفعل؟؟ هل يهرب من هذا القصر المسكون؟؟ أم يواصل مهمته في الكشف عن شخصية رافي التي بدأت تتضح ملامحها له.. هذا الشخص الذي لا يأكل ولا يشرب ويقيم في هذا القصر المسكون من السهل أن تدرك من يكون!

في تلك اللحظة سمع عواء مهدي من الخارج.. كان العواء يأتي مضطربًا ومتسارعًا.. أطفأ طاهر المصباح ثم بدأ يفكر في الهروب.. تردد لحظات من الخوف قبل أن يتوجه إلى المطبخ ليخرج من النافذة الصغيرة.. كانت النافذة أقرب إلى الأرض منها في الخارج بحيث يسهل الصعود إليها.. سمع صوت باب القصر ينفتح من الخارج ثم يقفل في صمت!

أرهف طاهر أذنيه ليستمع إلى أصوات الأقدام التي تتحرك في صالة القصر.. كان يريد فتح النافذة والخروج منها على الفور إلا أنه كان يخشى من صرير النافذة وهي تنفتح فيكتشف أمره هذا الشخص الذي

**دخل إلى القصر ويتعقبه ثم يعرف شخصيته ويتم اتهامه بالسرقة.. استقر أمره على أن يسكن مكانه حتى يخرج هذا الغريب من القصر أو يصعد إلى الطابق الثاني لينام إن كان هو رافي!**

**كان المطبخ مظلمًا.. ويظهر بعض الضوء الخافت جدًّا من النافذة، لكنه لا يكفي لكشف معالم الغرفة.. تكوَّم طاهر في مكانه وهو يكتم أنفاسه.. كان حريصًا على أن لا يتحرك حركة واحدة فيصطدم بأي شيء معدني في المطبخ يحدث صوتًا.. لم يصل إلى مسامعه أي صوت من الخارج.. سكون تام ولا وجود لأي حركة!**

**ظل طاهر في مكانه خمس دقائق يراقب بأذنه أي صوت أو حركة تبين شخصية هذا الغريب.. هل هو رافي جاء ليأخذ شيئًا ويعود إلى الوحدة.. هل هو الخفير.. لا يدري!**

**كان عليه أن ينتظر ولا يتعجل.. في تلك اللحظات العجلة تكلفك الكثير.. ربما حياتك!**

**فجأة.. تسلل ضوء خافت إلى المطبخ.. يبدو أن أحدهم أضاء المصباح في الصالة.. كان الضوء يقترب من المطبخ.. احتبست أنفاس طاهر من الرعب وتسارعت دقات قلبه.. كان يخشى أن يكون قد نسى**

**شيئًا في الخارج يدل على وجوده.. لكن في اللحظة الأخيرة ابتعد ضوء المصباح وابتعد حامله. . يبدو أن رأيه بدخول المطبخ قد تغير!**

**سمع طاهر صوت الأقدام تصعد درجات السلم الخشبي المتهالك.. كانت الأقدام بطيئة ومرعبة!**

**صوت صرير الباب في الحجرة العلوية ينفتح ثم ينغلق.. إنها حجرة رافي.. أستطيع تمييزه بسهولة.. هذا الباب بالذات له صرير مخيف يختلف عن باقي أبواب القصر..**

**"ما هذا".**

**قالها طاهر قبل أن يقفز من مكانه لا إراديًا ليصطدم ببعض الأواني المعدنية بجواره فتحدث رنة تردد صداها في المكان كله قبل أن ينفرط عقدها في فضاء القصر!**

**فجأة.. ارتبك القصر.. انفتحت حجرة رافي في الطابق العلوي بعنف.. بينما استعاد طاهر عقله وبدأ ينظر في الشيء الذي كان يجلس خلفه**

طول الوقت.. كان الظلام شديدًا لذا ثبت عينيه بشدة عليه فإذا هو.. قطة.. القطة السوداء!

في تلك اللحظة انطلق صوت العواء مرة أخرى في الخارج.. كان متسارعًا أكثر من ذي قبل ومتقطعًا بصورة مخيفة.. صوت الأقدام على السلم الخشبي تنسف سكون القصر.. يتزايد صوت العواء في الخارج..

صارت صورة القطة أوضح.. لقد كانت مخيفة أكثر من أي وقت مضى.. لم تكن تلك القطة التي اعتاد طاهر على مداعبتها.. لم تكن أنيابها تلك تظهر هكذا.. كانت تقترب نحو طاهر الذي تراجع إلى الوراء بخوف وحذر.. خلف طاهر كانت الأقدام تقترب من نهاية السلم وأمامه القطة تقترب منه.. تملكه الخوف الشديد فلم يدرِ ماذا يفعل.. لم يكن يعرف السر وراء عواء مهدي المتواصل مما زاد من تشتته وحيرته.. تقترب الأقدام الغريبة من المطبخ والقطة السوداء تقترب منه وهي تطلق فحيحًا كالأفاعي.. يبدو أنها غاضبة تمامًا وتستعد للفتك به!

في تلك اللحظة انطلق صوت من ناحية باب القصر.. توقفت الأقدام في الصالة وبعد ثوانٍ معدودة، انطفأ المصباح.. أما في المطبخ فقد لاذت القطة بالفرار!

"يا حضرة الطبيب.. أين أنت ؟؟"

عجبًا إنه صوت مهدي.. أسرع طاهر بالخروج من المطبخ فاصطدم ببعض الأثاث في الظلام قبل أن يصل إلى مهدي قرب باب القصر..

-كيف دخلت إلى هنا؟

-قلقت عليك كثيرًا بعد أن رأيت رافي قد وصل إلى القصر وأطلقتُ العواء فلم تخرج.. خفت أن يصيبك مكروه فاقتربت من باب القصر لأجده مفتوحًا.

-يبدو أن رافي كان ينوي الخروج مرة أخرى.

-ولكن أين هو يا حضرة الطبيب؟

هنا انتبه طاهر أنهما ليسا وحدهما في القصر وأن ثمة شخص مجهول اسمه رافي بصحبته قطة سوداء معهما الآن في هذا القصر المظلم..

-مهدي.. إن رافي ليس مخلوقًا عاديًا.

-ماذا تقصد؟

**-إن رافي لا يأكل ولا يشرب وليس طبيبًا كما يظن الجميع..**
**-وماذا يكون إذن!!**

**-إنه جنى.. الجنى الذي تحرر من المقبرة حين فتحها أخوك وسليم صاحب القصر.**

**هنا انغلق باب القصر من خلفهما بعنف.. صرخ الحاج مهدي من الفزع..**

**علا صوت طاهر:**

**-لابد أن نخرج من هنا بأسرع وقت.**

**انطلق طاهر و من ورائه الحاج مهدي إلى باب القصر.. أخذ طاهر يفتح باب القصر بقوة لكنه لم ينفتح.. صرخ الحاج مهدي مرة أخرى فضربه طاهر بقوة في كتفه ليمنعه من الصراخ وأمره أن يصمت.. حاول فتح باب القصر مرارًا فلم يستطع..**

**ارتعد جسد مهدي فلم يعد يتمالك أعصابه ثم قال وهو يرتجف:**

**-لن ننجو لن ننجو.. سأموت هنا مثلما مات أخي من تسع سنوات.. أخي عبد اللطيف لقد جئت إليك وسأرافقك إلى الأبد.**

**أيقن طاهر أن الحاج مهدي فقدَ صوابه.. و لو ظل على هذه الحالة فإنه سيتسبب في مقتلهما معًا.. أمسك بملابسه من ناحية الصدر وأخذ يهزه في عنف:**

**-أيها الوغد الطامع.. الكنز قريب منك اذهب وخذه لو تستطيع.. هيا.. أليس هذا ما كنت تبحث عنه.. إن كان هذا هدفك فستموت هنا كما مات أخوك.. أما إن كنت تريد أن نتعاون ونقتل هذا الجني فسننجح في هذا وسننجو.. هذه فرصتنا ساقنا القدر إليها.**

**طاهر يقف في الصالة المظلمة تمامًا وبجاوره مهدي ينتفض كفأر في شتاء قارص.. الهدوء يعم المكان وليس هناك أي حركة في القصر.**

**كان طاهر يفكر في وسيلة ما ليقضي بها على رافي.. همس إلى مهدي أن يتبعه.. أخذ يتحسس خطواته إلى أن وصل إلى المطبخ.. هناك وجد سكينًا كبيرًا انتزعه وأحكم قبضته عليه.. السكين يلمع في**

**الظلام.. خرج طاهر من المطبخ.. بحذر يسير وراءه مهدي.. وصلا إلى صالة القصر ولا يعرفان إلى أين المضي بعد ذلك!**

**فجأة.. اشتعل المصباح في الطابق الثاني.. الضوء يأتي من ناحية غرفة رافي.. انحنى طاهر على مهدي:**

**-علينا أن نصعد إلى الطابق الثاني ونقتله.**

**انتفض مهدي من مكانه لهول الفكرة.. لكنه لم يجد مهربًا من أن يتبع طاهر حتى لا يبقى وحيدًا في ساحة القصر!**

**اقترب طاهر من السلم.. فهو يعرف تفاصيل القصر جيدًا.. لم يكن الظلام عائقًا أمامه.. ببطء وخوف شديد كانت أقدامهما تطأ السلالم وتتوجه إلى الطابق الأعلى حيث يأتي الضوء من الحجرة.. حجرة رافي!**

**كان مهدي يمسك في ملابس طاهر من الخلف ويلتفت وراءه كل ثانية.. أوشك طاهر أن يصل إلى درجة السلم الأخيرة حين سمعا شيئًا يتحرك في الصالة بالأسفل... تعلق مهدي بطاهر أكثر وأكثر وتعالت أنفاسه.. وصلا إلى الطابق الثاني.. كانت هناك طرقة.. على يمين**

**الطرقة ممر يوصل إلى دورة مياة وحجرة نوم كانت مخصصة للأولاد عندما كان يعيش هنا سليم الصاوي.. وهناك على يسار الطرقة ممر يؤدى إلى حجرة سليم الصاوي التي يأتي منها الضوء!**

**الرياح شديدة تلك الليلة تعصف بأشجار الكافور في الخارج لتحدث صوتًا مهيبًا، وأصوات البوم تنتشر حول القصر بصورة مخيفة، كل شيء حول القصر ينذرُ بالويل القادم!**

**أشار طاهر إلى مهدي ناحية اليسار حيث الممر المؤدي إلى الضوء، سارا بخطوات متقطعة وكلما اقتربا من الحجرة زاد الضوء الهارب من أسفل الباب لتظهر معالم وجهيهما وما يظهر عليها من خوف ورعب.. اقتربا أكثر من الباب.. كاد مهدي أن يطلق صرخة لولا أن طاهر كتم فمه بيده..**

**اقترب طاهر من الباب تمامًا ووضع أذنه عليه.. هناك ضوء لكن لا يوجد أحد.. لا توجد أي حركة بالداخل... عزم طاهر أمره على اقتحام الحجرة.. وضع يده على مقبض الباب ثم أداره ببطء شديد.. فانفتح الباب!!**

**عندما انفتح الباب تلاشى الضوء فجأة وصارت الحجرة مظلمة.. هرب مهدي من المكان.. سمع طاهر صوت أقدامه وهو يلوذ بالفرار إلى الأسفل.**

**احتبست الأنفاس لدى طاهر الذي اشتدت قبضته على السكين أكثر وأكثر وهو يتلو بعض الأذكار: "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق... "باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء".. "أعوذ بالله السميع العليم من شر ما خلق"..**

**أحس بشيء يتحرك من خلفه.. التفت إليه فإذا الباب ينغلق بعنف.**

**تراجع إلى الحائط القريب منه وأسند ظهره إليه ثم رفع السكين عاليًا وتأهب لغرسها في قلب الجِنيّ..**

**سمع فحيحًا يأتي من أحد أركان الحجرة، دقق النظر حيث يأتي الصوت فرأى شبحًا يقف ساكنًا بلا حراك..**

**ارتجف قلبه بعنف واهتزت السكين في يده.. بعد أقل من ثانية انقض**

**عليه الشبح وهو يطلق فحيحه المخيف فوقع طاهر على الأرض وفوقه الشبح يحاول أن يفتك به..**

**أطلق طاهر صرخة كبيرة وهو يرفع السكين ليغرسها في صدر الشبح.. أطلق الشبح حشرجة رهيبة ثم تكوَّم على الأرض جثة هامدة!**

**أسرع طاهر إلى المصباح فأشعله.. تبين طاهر وجه الشبح.. إنه رافى.**

**استعاد طاهر أنفاسه واطمأن إلى موت الجني قبل أن يخرج من الغرفة وينادي على مهدي:**

**-مهدي.. أين أنت.. لقد قضيت على الجني.**

**لم يرد مهدي.. أحضر طاهر المصباح ثم سار إلى السلم ونزل إلى الطابق الأرضى.. هناك وجد ملابس مهدى ممزقة وملقاة على الأرض.. كانت الملابس ملقاة وموزعة في الطريق إلى آخر القصر.. هناك حيث القبو!**

سار طاهر إلى نهاية القصر وهو يرى قطعًا من ملابس مهدي في كل مكان..

وصل إلى حيث الباب الذي يقود إلى الحجرة الملحقة بالقصر والتي فيها القبو.. وضع المصباح جانبًا ثم همَّ أن يفتح الباب إلا أنه أحس بأن شيئًا ما يقف خلفه.. دق قلبه بعنف شديد ثم سكن تمامًا!

كان مهدي يمسك فأسًا كبيرة تتقطر منها دماء طاهر الذي أرداه قتيلًا بضربة في رأسه.. كان عليه أن يكمل طريقه الذي يسعى خلفه طول الوقت.

إنها فرصته بعد أن تم القضاء على الجِني وطاهر ولم يعد هناك أي عائق أمامه يمنعه من الوصول إلى القبو والاستيلاء على الكنز.. فتح الباب ثم دخل حجرة القبو.. كان يمسك المصباح في يده.. كانت يده مرتعشة قليلاً لكن قلبه يرقص فرحًا كلما اقترب من القفل الموضوع على باب القبو..

وضع المصباح على الأرض ثم رفع الفأس عاليًا لينزل بها على القفل إلا أنه توقف حين سمع صوت يأتي من خلفه:

**-مهلاً أيها العابث.. لقد حان الوقت، إنَّ أخاك في انتظارك!**

**نظر خلفه ثم أطلق صرخة عظيمة ارتجت لها الطيور النائمة على أغصان شجر الكافور في الحديقة قبل أن تلوذ بالفرار.. ثم سقط جثة هامدة!**

* * *

# (١٤)

لم أكن أعتقد أن أكون مخيفًا لهذه الدرجة.. لم أكن أعلم أن لقائي الأول بهذا السخيف ستكون نتائجه سيئة هكذا.. يبدو أنني لست بارعًا في اللقاءات الأولى فعلاً على الرغم من أهميتها في ترك انطباع يدوم!

و يبدو أن الانطباع الأول هو الانطباع الأخير في حالة الحاج مهدي.. لكن مهلاً.. على الأقل أنا لم أفقد حس الدعابة بعد.

أمضيت طيلة الليلة أنظف المكان.. أنا لا أطيق فعلاً هذا العمل.. على مر السنين يأتي الأوغاد إلى هنا وأضطر أن أنظف قذارتهم.. لا بأس.. فهذا عملي ومهمتي المقدَّسة.

أه.. نسيت أن أعرِّفكم على نفسي في أول القصة... أنا "سوكر".. لابد أنكم سمعتم هذا الاسم من قبل.. نعم إنه إله الموت عند الفراعنة.. لا أدري مَن أطلق عليَّ هذا الاسم فأنا لست إلهًا للموتى وليس لي أي

دور في فتح أفواههم اللعينة.. إنما أنا جني تم تسخيري لأظل هنا واقفًا على المقبرة أحرسها من المتطفلين والمعتوهين.

لست قاتلًا كما تعتقدون.. لعلكم تتذكرون أنني لم أقتل أحدًا من الثلاثة ولم أقتل سليم الصاوي ولا عزت أفندي..

أما الشيخ عبد اللطيف فلم أكن مسؤلاً عن قتله بل أحد الجان في داخل المقبرة.

وأما عزت أفندي فقد سقط في الترعة بالفعل، ولكن ليس أنا من أسقطه.. إنما فعل ذلك أحد اللصوص الذي اعترض طريقه وأراد سرقته فلما هاجمه عزت اضطر السارق أن يخنقه ويرميه في الترعة..

أما سليم الصاوي فقد أُصيبَ بالحمى بعد عِلمه بغرق عزت ولم يمسسه أحد بسوء..

طبعًا لا داعي أن أقص عليكم حكاية رافي وطاهر ومهدي مرة أخرى.. رافي هذا الطبيب المسكين كان يشعر بالغموض تجاه طاهر ومن علاقته بالقطة السوداء واقتحامه للقصر أكثر من مرة.. أيضًا حين كانت

**تتغير ملامح طاهر بشكل مفزع.. وأخيرًا اقتحام طاهر للقصر في هذه الليلة اعتبره رافي محاولة صريحة لسرقة المقبرة مما جعله يدافع عن قصره باستماتة في مواجهة العابثين وأدى إلى مقتله في نهاية الأمر.**

**أما طاهر فقد اعتقد أن رافي لص لا ينتمي إلى مهنة الطب.. وبخاصة بعدما لم يجد ملفه في الوحدة.. الملف الذي أخفيته أنا بالطبع!**

**و في نهاية الأمر تيقن طاهر أن رافي هو الجني الذي يحرس القصر.. بعد أن رأى الأواني الكريهة في المطبخ.. لم يعرف أن رافي يعتمد في طعامه على ما تصنعه الخادمة سعدية كل يوم.. إلا أن ذلك اليوم كان رافي منشغلاً باقتحام الوحدة وسرقة الكتاب فلم يستطع إحضار الطعام.**

**أما عن تلك الملامح المخيفة التي كانت تبدو على طاهر فكانت من تصميمي أنا.. ما رأيكم؟؟.. هل أمتلك الموهبة في فن "المكياج"؟؟**

**ما رأيكم بالحيَل التي صنعتها في القصر.. أعجبتني حقًا رقصات الفتى والفتاة.. كنت أتأملها كما يتأمل المؤلف قصته وهي تتألق على خشبة المسرح.. أعجبتني حيلة النوافذ المغلقة والزجاج الذي يتهشم.. كانت تجربة رائعة بالفعل!**

**هل نسيت شيئًا آخر ؟؟.. نعم..**

**أنا لا أقتل أحدًا، ولكن أتركهم يأكل بعضُهم بعضًا.. هكذا يكون عملي نظيفًا وهادئًا.. فقط ينبغي أن أنظف المكان جيدًا وأن أستعد لأي ضيف جديد.**

**أتذكر تلك الأحداث القديمة معكم الآن.. وهأنذا أكتبها لكم.. فالمكوث في هذا القصر ممل طوال تلك الفترة فليس هنالك ما أصنعه سوى حراسة المقبرة وبعض القراءات المتنوعة في مكتبة القصر.**

**انتظروا قليلاً فإنني سمعت صوتًا ما يأتي من خارج القصر... سأصعد إلى الطابق الثاني لأرى من الزائر الجديد.**

**يحمل «حلمي» الحقائب بعد أن أنزلها من السيارة ويتوجه بها إلى باب القصر الذي اشتراه من أصحابه في القاهرة وأعاد ترميمه محافظًا على تراثه الأصيل بعد أن هجره أهله طويلاً دون سكن.. حلمى هذا من أبناء القرية، كان عائدًا لتوِّه من الخليج بعد عمل لمدة إحدى عشرة سنة في التدريس بالجامعة وقرر أن يشتري القصر ويستقر فيه مع زوجته منى وأبنائه الثلاثة.**

"أرجو أن يعجبكم القصر فقد بذلت في إصلاحه مجهودًا كبيرًا، وقررت المحافظة على ما بداخله من تحف.. وبخاصة هذا الصالون الساحر.. ستعجبكِ المكتبة يا منى ليس لدي شك في هذا"

تفتح منى باب القصر.. ثم يدخل من ورائها الأولاد فرحين بمسكنهم الجديد بعد غربتهم الطويلة.

صاح أحد الأبناء حين صعد إلى الطابق الثاني:

"أمي أمي.. لقد وجدتُ قطة.. قطة سوداء!"..

* * *

تمَّت بحمدِ الله